

﴿ سورة الذاريات (١) ﴾

﴿ مكية ﴾ يروى عن ابن عباس. وابن الزبير رضى الله تعالى عنهما - ولم يحك في ذلك خلاف - وهى ستون آية بالاتفاق كافي كتاب العدد ، ومناسبتها لسورة (ق) أنها لما ختمت بذكر البعث واشتملت على ذكر الجزاء والجنة والنار وغير ذلك افتتحت هذه بالإقسام على أن ما وعدوا من ذلك لصادق ، وأن الجزاء لواقع ، وأنه قد ذكر هناك إهلاك كثير من القرون على وجه الاجمال ، وذكر هنا إهلاك بعضهم على سبيل التفصيل إلى غير ذلك مما يظهر للتأمل *

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالَّذِي رِيَّتْ ذُرْوًا ١ ﴾ أى الرياح التى تذروا التراب وغيره من ذرا - المعتل بمعنى فرق وبدد مارفعه عن مكانه ﴿ فَأَلْحَمَلْتُ وَقُرَأَ ٢ ﴾ أى حملا وهى السحب الحاملة للبطر *

﴿ فَأَلْجَرِيَّتْ يُسْرًا ٣ ﴾ أى جرياً سهلاً إلى حيث سيرت وهى السفن ﴿ فَأَلْمَقْسَمَاتِ أُمْرًا ٤ ﴾ هى الملائكة الذين يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به ، وتفسير كل بما فسر به قد صح روايته من طرق عن على كرم الله تعالى وجهه ، وفى بعض الروايات أن ابن الكواء سأله عن ذلك وهو رضى الله تعالى عنه بخطب على المنبر فأجاب بما ذكر ، وفى بعض الأخبار ما يدل على أنه تفسير مأثور عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم *

أخرج البزار . والدارقطنى فى الافراد . وابن مردويه . وابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال : « جاء صبيغ التميمى إلى عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه فقال : أخبرنى عن (الذاريات ذرؤاً) قال : هى الرياح ، ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ماقلته ، قال : فأخبرنى عن (الحاملات وقرأ) قال : هى السحاب ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ماقلته ، قال : فأخبرنى (عن الجاريات يسراً) قال : هى السفن ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ماقلته ، قال : فأخبرنى عن (المقسمات أُمراً) قال : هى الملائكة ولولا أنى سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول ماقلته ثم أمر به فضرب مائة وجعل فى بيت فلما برأ دعاه فضربه مائة أخرى وحمله على قتب وكتب إلى أبى موسى الأشعرى امنع الناس من مجالسته فلم يزالوا كذلك حتى أتى أبى موسى فخلف له بالايمان المغلظة ما يجد فى نفسه مما كان يجد شيئاً فكتب إلى عمر رضى الله تعالى عنه ما أخاله إلا قد صدق خلى بينه وبين مجالسة الناس » *

ويدل هذا أن الرجل لم يكن سليم القلب وأن سؤاله لم يكن طلباً للعلم وإلا لم يصنع به عمر رضى الله تعالى عنه ما صنع وفى رواية عن ابن عباس أن - الحاملات - هى السفن الموقرة بالناس وأمتعهم ، وقيل : هى الحوامل من جميع الحيوانات ، وقيل : الجاريات السحب تجرى وتسير إلى حيث شاء الله عز وجل ، وقيل : هى الكواكب

(١) ﴿ تنبيه ﴾ جريئها نافي تقسيم هذا الجزء هكذا لما هو المشهور من تجزئة الأجزاء الأربعة الأواخر لذلك ليكون أول كل جزء منها أول سورة وإن كانت تجزئة المصاحف فى هذا الجزء هى قوله : (قال فخطبكم أيها المرسلون)

التي تجري في منازلها وكلها لها حركة وإن اختلفت سرعة وبطأ كما بين في موضعه ، وقيل : هي الكواكب السبعة الشهيرة وتسمى السيارة ، وقيل : (الذاريات) النساء الولود فانهن يذرين الأولاد كأنه شبه تتابع الأولاد بما يتطير من الرياح ، وباقي المتعاطفات على ما سمعت أولاً ، وقيل : (الذاريات) هي الأسباب التي تدرى الخلائق على تشبيه الأسباب المعدة للبروز من العدم بالرياح المفرقة للحبوب ونحوها ، وقيل : الحاملات الرياح الحاملة للسحاب ، وقيل : هي الأسباب الحاملة لمسبباتها مجازاً ، وقيل : الجاريات الرياح تجري في مهاها ، وقيل : المقسمات السحب يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد ، وقيل : هي الكواكب السبعة السيارة - وهو قول باطل - لا يقول به إلا من زعم أنها مدبرة لعالم الكون والفساد ، وفي صحيح البخاري عن قتادة « خلق الله تعالى هذه النجوم ثلاث جعلها زينة للسماء . ورجوما للشياطين . وعلامات يهتدى بها فمن تأول فيها بغير ذلك فقد أخطأ وأضاع نصيبه وتكلف ما لا يعلم » وزاد رزين « وما لا علم له به وما عجز عن علمه الانبياء والملائكة » وعن الربيع مثله وزاد « والله ما جعل الله تعالى في نجم حياة أحد ولا رزقه ولا موته وإنما يفترون على الله تعالى الكذب ويتعللون بالنجوم » ذكره صاحب جامع الأصول ، وقدم الكلام في إبطال ما قاله المنجمون مفصلاً فتذكر ، ولعله سيأتي إن شاء الله تعالى شيء من ذلك ، وجوز أن يراد بالجميع الرياح فانهما - كما تذر - وما تذروه تثير السحاب وتحمله ، وتجري في الجو جرياً سهلاً - وتقسم الأمطار بتصرف السحاب في الاقطار - والمعول عليه ما روى عن عمر رضي الله تعالى عنه سامعاً له من رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم - وقاله باب مدينة العلم كرم الله تعالى وجهه على المنبر - واليه كما نقل عن الزجاج ذهب جميع المفسرين أي المعتبرين ، وقول الامام بعد نقله له عن الأمير : الأقرب أن تحمل هذه الصفات الأربع على الرياح جساراً عظيمة على ما لا يسلم له ، وجهل منه بما رواه ابن المسيب من الخبر الدال على أن ذلك تفسير النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فأين منه الامام عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه •

وقول صاحب الكشف : إنه شديد الطباق للمقام ولذا آثره الامام لا أسلمه له أيضاً إذا صح الحديث ثم إذا حملت هذه الصفات على أمور مختلفة متغايرة بالذات كما في المعول عليه فالقاء للترتيب في الاقسام ذكر أ و رتبة باعتبار تفاوت مراتبها في الدلالة على كمال قدرته عز وجل ، وهذا التفاوت إما على الترتيب أو التنازل لما في كل منها من الصفات التي تجعلها أعلى من وجه وأدنى من آخر إذا نظر لها ذو نظر صحيح ، وقيل : الترتيب بالنظر إلى الأقرب فالأقرب منا ، وإن حملت على واحد وهو الرياح فهي لترتيب الافعال والصفات إذ الريح تذر الأبنجرة إلى الجو أولاً حتى تنعقد سحاباً فتحمله ثانياً وتجري به ثالثاً ناشرة وسائقة له إلى حيث أمرها الله تعالى ثم تقسم أمطاره ، وقيل : إذا حملت الذاريات والحاملات على النساء ، فالظاهر أنها للتفاوت في الدلالة على كمال القدرة فتدبر •

ونصب (ذروا) على أنه مفعول مطلق ، (ووقراً) على أنه مفعول به ، وجوز الامام أن يكون من باب ضربته سوطاً ، و (يسراً) على أنه صفة مصدر محذوف بتقدير مضاف أي جرياً ذا يسر ، أو على أنه حال أي ميسرة كما نقل عن سيديويه ، و (أمراً) على أنه مفعول به وهو واحد الامور ، وقد أريد به الجمع ولم يعبر به لان الفرد أنسب بمرئوس الآي مع ظهور الامر ، وقيل : على أنه حال أي مأمورة ، والمفعول به محذوف أو الوصف منزل منزلة اللازم أي تفعل التقسيم مأمورة ، وقرأ أبو عمرو . وحمة (والذاريات ذروا) بادغام التاء في الذال ، وقرئ (وقرأ) بفتح الواو على أنه مصدر وقره إذا حمه - كما أفاده كلام الزمخشري - وناهيك

به إماماً في اللغة ، وعلى هذا هو منصوب على أنه مفعول به أيضاً على تسمية المحمول بالمصدر أو على أنه مفعول مطلق - لحاملات - من معناها كأنه قيل : فالحاملات حملا . وقوله تعالى شأنه :

﴿ إِنَّمَا تُوْعَدُونَ لَصَادِقٌ هـ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ٦ ﴾ جواب للقسم ، و (ما) موصولة والعائد محذوف أي إن الذي توعدونه ، أو توعدون به ، ويحتمل أن تكون مصدرية أي إن وعدكم ، أو وعيدكم إذ توعدون يحتمل أن يكون مضارع وعد ، وأن يكون مضارع أو وعد ، ولعل الثاني أنسب لقوله تعالى : (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) ولأن المقصود التخويف والتهويل ، وعن مجاهد أن الآية في الكفار وهو يؤيد الوعيد ومعنى صدقه تحقق وقوعه ، وفي الكشف وعد صادق - كعيشة راضية - و (الدين) الجزء ووقوعه حصوله ، والا كثرون على أن الموعود هو البعث ، وفي تخصيص المذكورات بالإقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقيق الجملة المقسم عليها من حيث أنها أمور بديعة فن قدر عليها فهو قادر على تحقيق البعث الموعود ﴿ وَالسَّمَاءَ ذَاتَ الْحُبُكِ ٧ ﴾ أي الطرق جمع حبيكة كطريقة ، أو حباك كثال ومثل ، ويقال : حبك الماء للتكسر الجارى فيه إذ مرت عليه الريح ، وعليه قول زهير يصف غديراً :

مكمل بأصول النجم تنسجه ريح خريق لضاحي مائه حبك (١)

وحبك الشعر لآثار ثنيه وتكسره ، وتفسيرها بذلك مروى عن مقاتل . والكبي . والضحاك ، والمراد بها إما الطرق المحسوسة التي تسير فيها الكواكب ، أو المعقولة التي تدرك بالبصيرة وهي ما تدل على وحدة الصانع وقدرته وعليه وحكمته جل شأنه إذا تأملها الناظر ، وقال ابن عباس . وقتادة . وعكرمة . ومجاهد . والريبع : ذات الخلق المستوى الجيد ، وفي رواية أخرى عن مجاهد المتقنة البنيان ، وقيل : ذات الصفاقة وهي أقوال متقاربة وكأن الحبك عليها من قولهم : حبكت الشيء أحكمته وأحسنتم عمله وحبكت العقدة أو ثقتها ، وفرس محبوبك المعاقم - وهي المفاصل - أي محكمها ، وفي الكشف أصل الحباكة الصفاقة وجودة الاثر ، وعن الحسن - حبكها - نجومها ، والظاهر أن إطلاق الحبك على النجوم مجاز لأنها تزين السماء كما يزين الثوب الموشى حبكه وطرائق وشبه فكأنه قيل : ذات النجوم التي هي كالحبك أي الطرائق في التزيين ، واستظهر في السماء أنه جنس أريد به جميع السموات وكون كل واحدة منها ذات حبك بمعنى مستوية الخلق جديده ، أو متقنة البنيان أو صفيقة ، أو ذات طرق معقولة ظاهر ، وأما كون كل منها كذلك بمعنى ذات طرق محسوسة فباعتبار أن الكواكب في أي سماء كانت تسير مسامطة لسائر السموات ، فمراتها باعتبار المسامطة طرق ، وبمعنى ذات النجوم فباعتبار أن النجوم في أي سماء كانت تشاهد في سائر السموات بناءً على أن السموات شفاقة لا يحجب كل منها إدراك ما وراءه ، وأخرج ابن منيع عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه قال : هي السماء السابعة ، وعن عبد الله بن عمرو مثله فتدبر ولا تغفل *

وقرأ ابن عباس . والحسن بخلاف عنه . وأبو مالك الغفاري . وأبو حيو . وابن أبي عتبة . وأبو السمال .

(١) قوله : (مكمل) مجرور على الوصف في قوله : قبله ثم استعانت - بماء مكمل - ذلك الماء بأصول النبات وصارت حوله كالأليل ، (والخريق) الريح الباردة الشديدة الهبوب و (الضاحي) الظاهر ، و (حبك الماء طرائقه) . اهـ إدارة الطباعة المنيرية

ونعيم عن أبي عمرو - الحبك - بإسكان الباء على زنة القفل ، وعكرمة بفتحها جمع حبكة مثل طرفة وطرف وبرقة (١) وبرق ، وأبو مالك الغفاري . والحسن بخلاف عنه أيضا بكسر الحاء والباء - كالابل - وهو على ما ذكر الخفاجي اسم مفرد ورد على هذا الوزن شذوذاً وليس جمعاً ، وأبو مالك والحسن . وأبو حيوة أيضا بكسر الحاء وإسكان الباء كالسلك - وهو تخفيف فعل مكسور الفاء والعين وهو اسم مفرد لا جمع لأن فعلا ليس من أبنية الجمع - قاله في البحر - وابن عباس . وأبو مالك أيضا بفتحهما كالجبل - قال أبو الفضل الرازي - فهو جمع حبكة مثل عقبة وعقب ، والحسن أيضا بكسر الحاء وفتح الباء كالنعم ، وأبو مالك أيضا بكسر الحاء وضم الباء وذكرها ابن عطية عن الحسن أيضا ثم قال : هي قراءة شاذة غير متوجهة وكأنه بعد أن كسر الحاء توهم قراءة الجمهور فضم التاء (٢) وهذا من تداخل اللغات وليس في كلام العرب هذا البناء أى لأن فيه الانتقال من خفة إلى ثقل على عكس ضرب مبنياً للمفعول ، وقال صاحب اللوامح : هو عديم النظير في العربية في أبنيتها وأوزانها ولا أدري ما وراءه انتهى *

وعلى التداخل تأول النحاة هذه القراءة ، وقال أبو حيان : الأحسن عندي أن يكون ذلك مما أتبع فيه حركة الحاء لحركة تاء (ذات) في الكسر ولم يعتد باللام الساكنة لأن الساكن حاجز غير حصين *

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّتَخَلِّفٍ ۝٨﴾ أى متخالف متناقض في أمر الله عز وجل حيث تقولون : إنه جل شأنه خالق السموات والارض وتقولون بصحة عبادة الأصنام معه سبحانه ، وفي أمر الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم فتقولون : تارة إنه مجنون ، وأخرى إنه ساحر ولا يكون الساحر إلا عاقلاً ، وفي أمر الحشر فتقولون : تارة لا حشر ولا حياة بعد الموت أصلاً ، وتزعمون أخرى أن أصنامكم شفعاءكم عند الله تعالى يوم القيامة إلى غير ذلك من الأقوال المتخالفة فيما كلفوا بالإيمان به ، واقتصر بعضهم على كون القول المختلف في أمره صلى الله تعالى عليه وسلم ، والجملة جواب القسم ولعل النكتة في ذلك القسم تشبيه أقوالهم في اختلافها وتنافي أغراضها بطرائق السموات في تباعدها واختلاف هياكلها ، أو الإشارة إلى أنها ليست بمستوية جيدة ، أو ليست قوية محكمة ، أو ليس فيها ما يزينها بل فيها ما يشينها من التناقض ﴿يُؤَفِّكُ عَنْهُ مَنَّافٌ ۝٩﴾ أى يصرف عن الإيمان بما كلفوا بالإيمان به لدلالة الكلام السابق عليه ، وقال الحسن . وقادة : عن الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقال غير واحد : عن القرآن ، والكلام السابق مشعر بكل من صرف الصرف الذي لا أشد منه وأعظم ، ووجه المبالغة من إسناد الفعل إلى من وصف به فلولاً غرض المبالغة لكان من توضيح الواضح فكأنه أثبت للصروف صرف آخر حيث قيل : (يصرف عنه) المصروف فجاءت المبالغة من المضاعفة ثم الإطلاق في المقام الخطابي له مدخل في تقوية أمر المضاعفة وكذلك الإبهام الذي في الموصول ، وهو قريب من قوله تعالى : (فغشهم من اليم ما غشهم) ، وقيل : المراد (يصرف عنه) في الوجود الخارجي من (صرف عنه) في علم الله تعالى وقضائه سبحانه ، وتعقب بأنه ليس فيه كثير فائدة لأن كل ما هو كائن معلوم أنه ثابت في سابق علمه تعالى الأزلي وليس فيه المبالغة السابقة ، وأجيب عن الأول بأن فيه الإشارة إلى أن الحجة البالغة لله عز وجل في صرفه وكفى بذلك فائدة وهو مبنى أن العلم تابع للمعلوم فافهمه ، وحكى الزهراوى أنه يجوز أن يكون الضمير (لما توعدون) أو - للدين - أقسم سبحانه - بالذاريات - على أن وقوع أمر القيامة حق ثم أقسم بالسما على أنهم في (قول مختلف) في وقوعه ، فمنهم شاك ،

ومنه جاحد ثم قال جل وعلا : (يؤفك) عن الاقرار بأمر القيامة من هو المأفوك ، وذكر ذلك الزخشرى ولم يعزه ، وادعى صاحب الكشف أنه أوجه لتلاؤم الكلام ، وقيل : يجوز أن يكون الضمير - لقول مختلف - وعن - للتعليل كما في قوله تعالى : (وما نحن بتاركى آلهتنا عن قولك) وقوله :

ينهن عن أكل وعن شرب مثل المها يرتعن فى خصب (١)

أى يصرف بسبب ذلك القول المختلف من أراد الاسلام ، وقال الزخشرى : حقيقته يصدر إفكهم عن القول المختلف ، وهذا محتمل لبقاء - عن - على أصلها من المجاوزة واعتبار التضمنين ، وفيه ارتكاب خلاف الظاهر من غير داع مع ذهاب تلك المبالغة ، وجوز ابن عطية رجوع الضمير إلى القول إلا أنه قال : المعنى يصرف عن ذلك القول المختلف بتوفيق الله تعالى للاسلام من غلبت سعادته ، وتعقبه بأن فيه مخالفة للعرف فان عرف الاستعمال فى الافك الصرف من خير إلى شر فلذلك لا تجده إلا فى المذمومين ، ثم إن ذلك على كون الخطاب فى أنكم للكفار - وهو الذى ذهب اليه ابن زيد وغيره - واستظهر أبو حيان كونه عاما للسلم والكافر ، واستظهر العموم فيما سبق أيضا ، والقول المختلف حينئذ قول المسلمين بصدق الرسول عليه الصلاة والسلام ، وقول الكفار بنقيض ذلك ، وقرأ ابن جبير . وقتادة (من أفك) مبني للفاعل أى من أفك الناس عنه وهم قریش ، وقرأ زيد بن على - بأفك عنه من أفك - أى يصرف الناس عنه من هو أفك كذاب ، وقرئ - يؤفن عنه من أفن - بالنون فيهما أى يحرمه من حرم من أفن الضرع إذا أنهكه حلباً ﴿ قُلْ الْخَرَصُونَ ١٠ ﴾ أى الكذابون من أصحاب القول المختلف ، وأصل الخرص الظن والتخمين ثم تجوز به عن الكذب لانه فى الغالب يكون منشأه ، وقال الراغب : حقيقة ذلك أن كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له : خرص سواء كان مطابقاً للشيء أو مخالفه من حيث أن صاحبه لم يقبله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل خارص الثرة فى خرصه ، وكل من قال قولاً على هذا النحو قد يسمى كاذباً وإن كان قوله مطابقاً للمقول المخبر به كما فى قوله تعالى : (إذا جاءك المناقون) الآية انتهى •

وفيه بحث وحقيقة - القتل - معروفة ، والمراد - بقتل - الدعاء عليهم مع قطع النظر عن المعنى الحقيقى • وعن ابن عباس تفسيره باللعن قال ابن الانبارى : وإنما كان القتل بمعنى اللعن هنا لان من لعنه الله تعالى بمنزلة المقتول الهالك ، وقرئ - قتل الخراصين - أى قتل الله الخراصين ﴿ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ ﴾ فى جهل عظيم يغمرهم ويشملهم شمول الماء الغامر لما فيه ﴿ سَاهُونَ ١١ ﴾ غافلون عما أمروا به ، فالمراد بالسهو مطلق الغفلة •

﴿ يُسْأَلُونَ ﴾ أى بطريق الاستعجال استهزاء ﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ١٢ ﴾ معمول ليسألون على أنه جار مجرى يقولون لما فيه من معنى القول ، أو لقول مقدر - أى فيقولون متى وقوع يوم الجزاء . وقد وقع السؤال عن الحدث كما هو المعروف فى (أيان) ولا ضير فى جعل الزمان زمانياً فان اليوم لما جعل موعوداً ومنتظراً فى نحو قوله تعالى : (فارتقب يوم تأتى السماء) صار ما حقيقاً بالزمانيات وكذلك - كل يوم له شأن مثل يوم العيد . والنبروز - وهذا

(١) يصف الشاعر مضيقاً يصدر الاضياف عنه شباعاً يتناهون فى السمن بسبب الاكل والشرب وقالوا جل ناه اذا كان عريقاً فى السمن ام

جار في عرفي العرب والعجم على أنه يجوز عند الأشاعة أن يكون للزمان زمان على مافصل في مكانه ، وقرئ (إيمان) بكسر الهمزة وهي لغة ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ١٣﴾ أي يحرقون، وأصل الفتن إذابة الجوهر ليظهر غشه ثم استعمل في الاحراق والتعذيب ونحو ذلك، و(يوم) نصب على الظرفية لمخدوف دل عليه وقوع الكلام جوابا للسؤال مضاف للجملة الاسمية بعده - أي يقع يوم الدين يوم هم على النار - الخ ، وقال الزجاج : ظرف لمخدوف وقع خبراً لمبتدأ كذلك أي هو واقع ، أو كائن يوم الخ ، وجوز أن يكون هو نفسه خبر مبتدأ مخدوف ، والفتحة فتحة بناء لضافته إلى غير ، وهي الجملة الاسمية فإن الجمل بحسب الاصل كذلك على كلام فيه بين البصريين والكوفيين مفصل في شرح التسهيل - أي هو يوم هم - الخ ، والضمير قيل : راجع إلى وقت الوقوع فيكون هذا الكلام قائماً مقام الجواب على نحو - سيقولون لله - في جواب (من رب السموات والأرض) لان تقدير السؤال في أي وقت يقع ، وجوابه الاصل في يوم كذا ، وإذا قلت : وقت وقوعه يوم كذا كان قائماً مقامه . ويجوز أن يكون الضمير لليوم والكلام جواب بحسب المعنى ، فالتقدير يوم الجزاء - يوم تعذيب الكفار - ويؤيد - كونه مرفوع المحل خبراً لمبتدأ مخدوف - قراءة ابن أبي عبله . والزعفراني (يوم هم) بالرفع ، وزعم بعض النحاة أن - يوم - بدل من (يوم الدين) وفتحته على قراءة الجمهور فتحة بناء ، و(يوم) وما في حيزه من جملة كلام السائلين قالوه استهزأ ، وحكى على المعنى ، ولو حكى على اللفظ لقليل : يوم نحن على النار نفتن ، وهو في غاية البعد لا يخفى ، وقوله تعالى : ﴿ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ﴾ بتقدير قول وقع حالا من ضمير (يفتنون) أي مقولاً لهم (ذوقوا فتنكم) أي عذابكم المعد لكم ، وقد يسمى ما يحصل عنه العذاب - بالكفر - فتنة ، وجوز أن يكون منه ما هنا كأنه قيل : ذوقوا كفركم - أي جزاء كفركم - أو يجعل الكفر نفس العذاب مجازاً وهو كما ترى ﴿ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ١٤ ﴾ جملة من مبتدأ وخبر داخله تحت القول المضمّر - أي هذا العذاب الذي كنتم تستعجلون به بطريق الاستهزاء - وجوز أن يكون هذا بدلاً من (فتنكم) بتأويل العذاب ، وفيه بعد ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٥ ﴾ لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها ﴿ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ﴾ أي قابلين لكل ما أعطاهم عز وجل راضين به على معنى إن كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول ، والعموم مأخوذ من شيوع ما وإطلاقه في معرض المدح وإظهار منتهى تعالى عليهم ، واعتبار الرضا لأن الأخذ قبول عن قصد ، ونصب (آخذين) على الحال من الضمير في الظرف ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ ﴾ في الدنيا ﴿ مُحْسِنِينَ ١٦ ﴾ أي لأعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغي فلذلك استحقوا اما استحقوا من الفوز العظيم ، وفسر إحسانهم بقوله تعالى ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧ ﴾ الخ على أن الجملة في محل رفع بدل من قوله تعالى : (كانوا قبل ذلك محسنين) حصل بها تفسيره ، أو أنها جملة لا محل لها من الاعراب مفسرة كسائر الجمل التفسيرية ، وأخرج الفريابي . وابن جرير . وابن المنذر . وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية : (آخذين ما آتاهم ربهم) من الفرائض (إنهم كانوا قبل ذلك محسنين) أي كانوا قبل تنزل الفرائض يعملون ، ولا أظن صحة نسبته لذلك الخبر ، ولا يكاد تجعل جملة (كانوا) الخ عليه تفسيراً إذا صح ما نقل عنه في تفسيرها ، وسيأتي إن شاء الله تعالى •

و - المجوع - النوم ، وقيد الراغب بقوله : ليلاً ، وغيره بالقليل ، و (ما) إما مزيدة - قليلاً -

معمول الفعل صفة لمصدر محذوف أى - هجوعاً قليلاً - و(من الليل) صفة، أولغو متعلق - يهجعون - و(من) للابتداء، وجملة (يهجعون) خبر - كان - أو (قليلاً) صفة لظرف محذوف - أى زماناً قليلاً - و(من الليل) صفة على نحو - قليل من المال عندى - وإما موصولة عائدها محذوف فهى فاعل (قليلاً) وهو خبر - كان - و(من الليل) حال من الموصول مقدم كأنه قيل: كانوا قد قل المقدار الذى يهجعون فيه كأن ذلك المقدار (من الليل) وإمامصدرية فالمصدر فاعل (قليلاً) وهو خبر كان أيضاً، و(من الليل) بيان لا متعلق بما بعده لأن معمول المصدر لا يتقدم، أو حال من المصدر، و(من) للابتداء كذا فى الكشف فهما من الكشف، وذهب بعضهم إلى أن (من) على زيادة - ما - بمعنى فى كما فى قوله تعالى: (إذا نودى للصلاة من يوم الجمعة) واعترض ابن المنير احتمال مصدريتها بأنه لا يجوز فى (من الليل) كونه صفة، أو بياناً - للقليل - لأنه فيه واقع على الهجوع ولا صلة المصدر لتقدمه، وأجيب بأنه يبان للزمان المبهم؛ وحكى الطيبي أنه إمامنصوب على التبيين أو متعلق بفعل يفسره (يهجعون) وجوز أن يكون (ما يهجعون) على ذلك الاحتمال بدلاً من اسم كان فكأنه قيل: كان هجوعهم قليلاً وهو بعيد، وجوز فى (ما) أن تكون نافية، و(قليلاً) منصوب - يهجعون - والمعنى - كانوا لا يهجعون من الليل قليلاً ويحيونه كله - ورواه ابن أبى شيبه. وأبو نصر عن مجاهد، ورده الزحشرى بأن (ما) النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها لأن لهاصدر الكلام وليس فيها التصرف الذى فى أخواتها فلا فإنها قد تكون كجزء مما دخلت عليه نحو - عوتب بلا جرم - ولم - ولن - لاختصاصهما بالفعل كالجزم منه، وأنت تعلم أن منع العمل هو مذهب البصريين، وفى شرح الهادى أن بعض النحاة أجازاه مطلقاً، وبعضهم أجازاه فى الظرف خاصة للتوسع فيه، واستدل عليه بقوله:

• ونحن عن فضلك ما استغنيا • نعم يرد على ذلك أن فيه كما فى الاتصاف خلافاً من حيث المعنى فإن طلب قيام الليل غير مستثنى منه جزء للهجوع وإن قل غير ثابت فى الشرع ولا معهود اللهم إلا أن يدعى أن من ذهب إلى ذلك يقول: بأنه كان ثابتاً فى الشرع، فقد أخرج ابن أبى شيبه. وابن المنذر عن عطاء أنه قال فى الآية: كان ذلك إذ أمروا بقيام الليل كله فكان أبو ذر يعتمد على العصا فكثروا شهرين ثم نزلت الرخصة (فاقرءوا ما تيسر منه) وقال الضحاك: (كانوا قليلاً) فى عددهم، وتم الكلام عند (قليلاً) ثم ابتدأ (من الليل ما يهجعون) على أن (ما) نافية؛ وفيه ما تقدم مع زيادة تفكيك للكلام، ولعل أظهر الأوجه زيادة (ما) ونصب (قليلاً) على الظرفية، و(من الليل) صفة قيل: وفى الكلام مبالغات لفظ الهجوع بناءً على أنه القليل من النوم، وقوله تعالى: (قليلاً) و(من الليل) لأن الليل وقت السبات والراحة وزيادة (ما) لأنها توكد مضمون الجملة فتؤكد القلة وتحققها باعتبار كونها قيداً فيها والغرض من الآية أنهم يكابدون العبادة فى أوقات الراحة وسكون النفس ولا يستريحون من مشاق النهار إلا قليلاً، قال الحسن: كابدوا قيام الليل لا ينامون منه إلا قليلاً، وعن عبد الله بن ربيعة هجعوا قليلاً ثم قاموا، وفسر أنس بن مالك الآية - كما رواه جماعة عنه وصححه الحاكم - فقال: كانوا يصلون بين المغرب والعشاء

وهى لا تدل على الاقتصار على ذلك ﴿وبالأسحار هم يستغفرون﴾ ١٨ أى هم مع قلة هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الأسحار كأنهم أسلفوا فى ليلهم الجرائم ولم يتفرغوا فيه للعبادة، وفى بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الاحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم له وإطناهم فيه • وفى الآية من الإشارة إلى مزيد خشيتهم وعدم اغترارهم بعبادتهم ما لا يخفى، وحمل الاستغفار على حقيقته المشهورة هو الظاهر - وبه قال الحسن - •

أخرج عنه ابن جرير . وغيره أنه قال : صلوا فلما كان السحر استغفروا ، وقيل : المراد طلبهم المغفرة بالصلاة ، وعليه ما أخرج ابن المنذر . وجماعة عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما أنه قال : (يستغفرون) يصلون ، وأخرج ابن مردويه عنه ذلك مرفوعاً ولا أراه يصح ، وأخرج أيضاً عن أنس قال : « قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : إن آخر الليل في التهجد أحب إلى من أوله لأن الله تعالى يقول : (وبالسحار هم يستغفرون) » وهو محتمل لذلك التفسير والظاهر ﴿ وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ ﴾ أي نصيب وافريستوجبونه على أنفسهم تقريباً إلى الله عز وجل وإشفاقاً على الناس فهو غير الزكاة كما قال ابن عباس . ومجاهد . وغيرهما ﴿ لِلسَّائِلِ ﴾ الطالب منهم ﴿ وَالْمَحْرُومِ ١٩ ﴾ وهو المتعفف الذي يحسبه الجاهل غنياً فيحرم الصدقة من أكثر الناس .

أخرج ابن جرير . وابن حبان . وابن مردويه عن أبي هريرة قال : « قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم : ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمران والآلة والأكلتان قيل : فمن المسكين ؟ قال : الذي ليس له ما يغنيه ولا يعلم مكانه فيتصدق عليه فذلك المحروم » وفسره ابن عباس بالحارف الذي يطلب الدنيا وتدبر عنه ولا يسأل الناس ، وقيل : هو الذي يبعد منه إمكانات الرزق بعد قربها منه فينال الحرمان ، وقال زيد بن أسلم : هو الذي اجتاحت ثمرته ، وقيل : من ماتت ماشيته ، وقيل : من ليس له سهم في الاسلام ، وقيل : الذي لا ينمو له مال ، وقيل : غير ذلك . قال في البحر : وكل ذلك على سبيل التمثيل ويجمع الأقوال أنه الذي لا مال له لحرمان أصابه . وأنا بقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أقول . وقال منذر بن سعيد هذا الحق هو الزكاة المفروضة ، وتعقب بأن السورة مكية وفرض الزكاة بالمدينة ، وقيل : أصل فريضة الزكاة كان بمكة والذي كان بالمدينة القدر المعروف اليوم ، وعن ابن عمر أن رجلاً سأله عن هذا الحق فقال الزكاة وسوى ذلك حقوق فعممهم ، والجمهور على الأول . ﴿ وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ ﴾ دلائل من أنواع المعادن والنباتات . والحيوانات ، وأوجوه دلالات من الدحو وارتفاع بعضها عن الماء ، واختلاف أجزائها في الكيفيات والخواص ، فالدليل على الأول ما في الأرض من الموجودات والظرفية حقيقية والجمع على ظاهره ، وعلى الثاني الدليل نفس الأرض ، والجمعية باعتبار وجوه الدلالة وأحوالها ، والظرفية من ظرفية الصفة في الموصوف والدلالة على وجود الصانع جل شأنه وعلمه وقدرته وإرادته ووحدته وفرط رحمته عز وجل ﴿ لِّلْمُوقِنِينَ ٢٠ ﴾ للموحدين الذين سلكوا الطريق السوي البرهاني الموصل إلى المعرفة فهم نظارون بعيون باصرة وأفهام نافذة ، وقرأ قتادة - آية - بالافراد ﴿ وَفِي أَنْفُسِكُمْ ﴾ أي في ذواتكم آيات إذ ليس في العالم شيء إلا وفي ذات الانسان له نظير يدل على دلالته على ما انفرد به من الهيات النافعة والمناظر الهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الأفعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة ، وآيات الأنفس أكثر من أن تحصى ، وقيل : أريد بذلك اختلاف الآلئنة والصور والالوان والطبائع ، ورواه عطاء عن ابن عباس ، وقيل : سبيل الطعام وسبيل الشراب والحق أن لاحصر ﴿ أَفَلَا تَبْصُرُونَ ٢١ ﴾ أي ألا تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة ، وهو تعنيف على ترك النظر في الآيات الأرضية والنفسية ، وقيل : في الأخير ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ ﴾ أي تقديره وتعيينه ، أو أسباب رزقكم من النيرين والكواكب والمطالع (٢٢ - ج ٢٧ - تفسير روح المعاني)

والمغارب التي تختلف بها الفصول التي هي مبادئ الرزق إلى غير ذلك ، فالكلام على تقدير مضاف أو التجوز يجعل وجود الاسباب فيها كوجود المسبب ، وذهب غير واحد إلى أن السماء السحاب وهي سماء لغة ، والمراد بالرزق المطر فانه سبب الاقوات وروى تفسيره بذلك مرفوعاً وقرأ ابن محيصن - أرزاقكم - على الجمع *

﴿ وَمَا تَوْعَدُونَ ۚ ﴾ عطف على رزقكم أي والذي توعدونه من خير وشر كما روى عن مجاهد، وفي رواية أخرى عنه وعن الضحاك - ماتو عدون - الجنة والنار وهو ظاهر في أن النار في السماء وفيه خلاف ، وقال بعضهم : هو الجنة وهي على ظهر السماء السابعة تحت العرش ، وقيل : أمر الساعة ، وقيل : الثواب والعقاب فانهما مقدران معينان فيها، وقيل : إنه مستأنف خبره .

﴿ فَوَرَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ على أن ضمير (إنه) (لما) وعلى ما تقدم ، فإما له أو للرزق ، أو لله تعالى ، أو للذي صلى الله تعالى عليه وسلم ، أو للقرآن ، أو للدين في (إن الدين لواقع) أو لليوم المذكور في (أيان يوم الدين) أو لجميع المذكور (أما ما أقوال) ، واستظهر أبو حيان الأخير منها وهو مروي عن ابن جريج أي أن جميع ما ذكرناه من أول السورة إلى هنا لحق ﴿ مَثَلٌ مَا أَنْكُمْ تَنْطَقُونَ ﴾ أي مثل نطقكم كما أنه لا شك لكم في أنكم تنطقون ينبغي أن لا تشكوا في حقيقة ذلك وهذا كقول الناس : إن هذا لحق كما أنك ترى وتسمع ، ونصب (مثل) على الحالية من المستكن في (لحق) وهو لا يتعرف بالاضافة لتوغله في التنكير ، أو على الوصف لمصدر محذوف أي إنه حق حقاً مثل نطقكم ، وقيل : إنه مبنى على الفتح فقال المازني : لتركه مع (ما) حتى صاراً شيئاً واحداً نحو - ويحما - وأنشدوا لبناء الاسم معها قول الشاعر :

أثور (ما) أصيدكم أم ثورين أم هذه الجماء ذات القرنين

وقال غيره : لاضافته إلى غير متمكن وهو (ما) إن كانت نكرة موصوفة بمعنى شيء ، أو موصولة بمعنى الذي و (أنكم) الخ خبر مبتدأ محذوف أي هو (أنكم) الخ ، والجملة صفة ، أو صلة ، أو هو أن بما في حيزها إن جعلت (ما) زائدة ، وهو نص الخليل ومحل على البناء الرفع على أنه صفة (لحق) أو خبر ثان ويؤيده قراءة حمزة . والكسائي . وأبي بكر . والحسن . وابن أبي إسحق . والأعمش بخلاف عن ثلاثهم (مثل) بالرفع ، وفي البحر أن الكوفيين يجعلون - مثلاً - ظرفاً فينصبونه على الظرفية ويجيزون زيد مثلك بالنصب ، وعليه يجوز أن يكون في قراءة الجمهور منصوباً على الظرفية - واستدلوا لهم ، والرد عليهم مذكور في النحو - وفي الآية من تأكيد حقيقة المذكور ما لا يخفى ، وأخرج ابن جرير . وابن أبي حاتم عن الحسن أنه قال فيها : بلغني أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « قاتل الله قوماً أقسم لهم ربهم ثم لم يصدقوا » وعن الأصمعي أقبلت من جامع البصرة فطلع أسرابي على قعود فقال : بمن الرجل ؟ قلت : من بني أصم قال : من أين أقبلت : من موضع يتلى فيه كلام الرحمن قال : اتل على قتلوت (والذاريات) فلما بلغت (وفي السماء رزقكم) قال : حسبك فقام إلى ناقته فحرها ووزعها وعمد إلى سيفه وقوسه فكسرها وولى فلما حجبت مع الرشيد طفقت أطوف فإذا أنا بمن يهتف بي بصوت رقيق فالتفت فإذا بالأعرابي قد نحل واصفر فسلم على واستقرأ السورة فلما بلغت الآية صاح وقال : قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً ثم قال : وهل غير هذا ؟ (فقرأت فورب السماء والأرض إنه لحق) فصاح وقال : ياسبحان الله من ذا أغضب الجليل حتى حلف لم بصدقوه بقوله حتى الجأوه إلى اليمين قالها

ثلاثاً وخرجت معها نفسه ٥

﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴾ فيه تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه ليس مما عليه رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بغير طريق الوحي قاله غير واحد ، وفي الكشف فيه رمز إلى أنه لما فرغ من إثبات الجزاء لفظاً ، القسم ومعنى بما في المقسم به من التلويح إلى القدرة البالغة مدحاً فيه صدق المبلغ ، وقضى الوطر من تفصيله مهد لا ثبات النبوة وأن هذا الآتي الصادق حقيق بالاتباع لما معه من المعجزات الباهرة فقال سبحانه : (هل أتاك) الخ ، وضمن فيه تسليته عليه الصلاة والسلام بتكذيب قومه فله بسائر آياته وإخوانه من الأنبياء عليهم السلام أسوة حسنة هذا إذا لم يجعل قوله تعالى : (وفي موسى) عطفاً على قوله سبحانه : (وفي الأرض آيات) وأما على ذلك التقدير فوجهه أن يكون قصة الخليل . ولو ط عليها السلام معترضة للتسلي بإبعاد مكذبيه وأنه مرحوم منجى مكرم بالاصطفاء مثل أبيه إبراهيم صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم - والترجيح مع الأول انتهى - وسيأتى إن شاء الله تعالى ما يتعلق بقوله سبحانه : (وفي موسى) ، و (الضيف) في الأصل مصدر بمعنى الميل ولذلك يطلق على الواحد والمتعدد ، قيل : كانوا اثني عشر ملكاً ، وقيل : ثلاثة جبرائيل وميكائيل . وإسرافيل عليهم السلام وسموا ضيفاً لأنهم كانوا في صورة الضيف ولأن إبراهيم عليه السلام حسبهم كذلك ، فالتسمية على مقتضى الظاهر والحسبان ، وبدأ بقصة إبراهيم وإن كانت متأخرة عن قصة عاد لأنها أقوى في غرض التسلية ﴿ الْمُسْكِرِينَ ٢٤ ﴾ أى عند الله عز وجل كما قال الحسن فهو كقوله تعالى في الملائكة عليهم السلام : (بل عباد مكرمون) أو عند إبراهيم عليه السلام إذ خدمهم بنفسه وزوجته وعجل لهم القرى ورفع مجالسهم كما في بعض الآثار ، وقرأ عكرمة (المكرمين) بالتشديد ﴿ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ ﴾ ظرف للحديث لأنه صفة في الأصل ، أو للضيف ، أو (لمكرمين) إن أريد إكرام إبراهيم لأن إكرام الله تعالى إياهم لا يتقيد ، أو منصوب بإضمار اذكر ﴿ فَقَالُوا سَلَامًا ﴾ أى نسلم عليك سلاماً ، وأوجب في البحر حذف الفعل لأن المصدر ساد مسدده فهو من المصادر التي يجب حذف أفعالها ، وقال ابن عطية : يتجه أن يعمل في (سلاماً) قالوا : على أن يجعل في معنى قولاً ويكون المعنى حينئذ أنهم قالوا : تحية وقولاً معناه (سلام) ونسب إلى مجاهد وليس بذلك ٥

﴿ قَالَ سَلَامٌ ﴾ أى عليكم سلام عدل به إلى الرفع بالابتداء لقصد الثبات حتى يكون تحيته أحسن من تحيتهم أخذاً بمزيد الأدب والإكرام ، وقيل : (سلام) خبر مبتدأ محذوف أى أمرى (سلام) وقرنا مرفوعين ، وقرئ - سلاماً قال سلبا - بكسر السين وإسكان اللام والنصب ، والسلم السلام ، وقرأ ابن وثاب والنخعي : وابن جبير . وطلحة - سلاماً قال سلم - بالكسر والإسكان والرفع ، وجعله في البحر على معنى نحن أو أنتم سلم ﴿ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ ٢٥ ﴾ أنكرهم عليه السلام للسلام الذي هو علم الاسلام ، أو لأنهم عليهم السلام ليسوا بمن عهدهم من الناس ، أولان أوضاعهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ، و (قوم) خبر مبتدأ محذوف والأكثر على أن التقدير أنتم قوم منكرون وأنه عليه السلام قاله لهم للتعرف كقولك لمن لقيته : أنا لا أعرفك تريد عرف لي نفسك وصفها ، وذهب بعض المحققين إلى أن الذي يظهر أن التقدير هؤلاء (قوم منكرون) وأنه عليه السلام قاله في نفسه ، أو لمن كان معه من أتباعه وغلمانه من غير أن يشعروهم بذلك فانه الانسب بحاله

عليه السلام لأن في خطاب الضيف بنحو ذلك إيحاشاً ما ، وطلبه به أن يعرفوه حالهم لعله لا يزيل ذلك .
 وأيضا لو كان مراده ذلك لكشفوا أحوالهم عند القول المذكور ولم يتصد عليه السلام لمقدمات الضيافة .
 ﴿ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ ﴾ أي ذهب اليهم على خفية من ضيفه ، نقل أبو عبيدة أنه لا يقال : راغ إلا إذا ذهب على خفية ، وقال : يقال روغ اللقمة إذا غمسها في السمن حتى تروى ، قال ابن المنير : وهو من هذا المعنى لأنها تذهب مغموسة في السمن حتى تخفى ، ومن مقلوب الروغ غور الأرض والجرح لحفائه وسائر مقلوباته قريبة من هذا المعنى ، وقال الراغب : الروغ الميل على سبيل الاحتيال ، ومنه راغ الثعلب ، وراغ فلان إلى فلان مال نحوه لأمر يريده منه بالاحتيال ، ويعلم منه أن لا اعتبار قيد الخفية وجهاً وهو أمر يقتضيه المقام أيضاً لأن من يذهب إلى أهله لتدارك الطعام يذهب كذلك غالباً ، وتشعر الفاء بأنه عليه السلام بادر بالذهاب ولم يمهل وقد ذكروا أن من أدب المضيف أن يبارد بالقرى من غير أن يشعر به الضيف حذراً من أن يمنعه الضيف ، أو يصير منتظراً ﴿ جَاءَ بِعِجْلٍ ﴾ هو ولد البقرة كأنه سمي بذلك لتصور عجّلته التي تعدم منه إذا صار ثوراً ﴿ سَمِين ٢٦ ﴾ عتلى الجسد بالشحم واللحم يقال : سمن - كسمن - سمانة بالفتح وسمناً - كعنب - فهو سامن وسمين ، وكحسن السمين خلقة كذا في القاموس ، وفي البحر يقال : سمن سمناً فهو سمين شذوذاً في المصدر ، واسم الفاعل . والقياس سمن وسمن ، وقالوا : سامن إذا حدث له السمن انتهى ، والفاء فصيحة أفصحت عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها ، وإيذاناً بكمال سرعة الحجي بالطعام أي فذبح عجلًا فخذنه فجاء به ، وقال بعضهم إنه كان معداً عنده حينئذ قبل مجيئهم لمن يرد عليه من الضيوف فلا حاجة إلى تقدير ما ذكر ، والمشهور اليوم أن الذبح للضيف إذا ورد أبلغ في إكرامه من الاتيان بما هيئ من الطعام قبل وروده ، وكان ياروى عن قتادة عامة ماله عليه السلام البقر ولو كان عنده أطيب لحماً منها لاكرمهم به *

﴿ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ ﴾ بأن وضعه لديهم ، وفيه دليل على أن من إكرام الضيف أن يقدم له أكثر مما يأكل وأن لا يوضع الطعام بموضع ويدعى الضيف إليه ﴿ قَالَ لَا تَأْكُلُون ٢٧ ﴾ ، قيل : عرض للأكل فإن في ذلك تأنيساً للضيف ، وقيل : إنكار لعدم تعرضهم للأكل ، وفي بعض الآثار أنهم قالوا : إنا لا نأكل إلا ما أدينا ثمنه فقال عليه السلام : إني لا أبيع لكم إلا بثمن قالوا : وما هو ؟ قال : أن تسموا الله تعالى عند الابتداء وتحمدوه عز وجل عند الفراغ فقال بعضهم لبعض : بحق اتخذ الله تعالى خليلاً ﴿ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ﴾ فأضمر في نفسه منهم خوفاً لما رأى عليه الصلاة والسلام إعراضهم عن طعامه وظن أن ذلك لشريريدونه فإن أكل الضيف أمانة ؛ ودليل على انبساط نفسه وللطعام حرمة وذمام والامتناع منه وحشة موجبة لظن الشر . وعن ابن عباس أنه عليه السلام وقع في نفسه أنهم ملائكة أرسلوا للعذاب فخاف ﴿ قَالُوا لَا تَخَفْ ﴾ إنا رسل الله تعالى ، عن يحيى بن شداد مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم ، وعلى ما روى عن الخبر أن هذا مجرد تأمينه عليه السلام ، وقيل : مع تحقيق أنهم ملائكة وعليهم بما أضمر في نفسه إما بإطلاع الله تعالى إياهم عليه ، أو إطلاع ملائكته الكرام الكاتبين عليه وإخبارهم به ، أو بظهور أمارته في وجهه الشريف فاستدلوا بذلك على الباطن ﴿ وَبَشَّرُوهُ ﴾ وفي سورة الصافات (وبشرناه) أي بواسطتهم ﴿ بَغْلَمٌ ﴾

هو عند الجمهور إسحق بن سارة وهو الحق للتخصيص على أنه المبشر به في سورة هود ، والقصة واحدة ، وقال مجاهد: إسماعيل ابن هاجر وإبراهيم عنه ابن جرير وغيره ولا يكاد يصحح (عليه السلام ٢٨) عند بلوغه واستوائه ، وفيه تبشير بحياته وكانت البشارة بذلك لانه أسر للنفس وأبهج ، ووصفه بالعلم لانها الصفة التي يختص بها الانسان الكامل لا الصورة الجميلة والقوة ونحوهما ، وهذا عند غير الاكثرين من أهل هذا الزمان فان العلم عندهم لاسيما العلم الشرعي رذيلة لا تعاد لها رذيلة والجهل فضيلة لا توازنها فضيلة ، وفي صيغة المبالغة مع حذف المعمول ما لا يخفى مما يوجب السرور ، وعن الحسن (عليه السلام) نبي ووقعت البشارة بعد التأنيس ، وفي ذلك إشارة إلى أن درء المفسدة أهم من جلب المصلحة ، وذكر بعضهم أن علمه عليه السلام بأنهم ملائكة من حيث بشره بغيب *

(فَأَقْبَلَتْ أُمُّرَاتُهُ) سارة لما سمعت بشارتهم إلى بيتها وكانت في زاوية تنظر اليهم ، وفي التفسير الكبير إنها كانت في خدمتهم فلما تكلموا مع زوجها بولادتها استحيت وأعرضت عنهم فذكر الله تعالى ذلك بلفظ الاقبال على الأهل دون الإدبار عن الملائكة ، وهو إن صح مثله عن نقل وأثر لا ياباه الخطاب الآتي لانه يقتضي الاقبال دون الادبار إذ يكفي لصحته أن يكون بسمع منها وإن كانت مدبرة ، نعم في الكلام عليه استعارة ضدية ولا قرينة ههنا تصحيحها ، وقيل : أقبلت بمعنى أخذت كما تقول أخذ يشتغى (في صرة) في صيحة من الصرير قاله ابن عباس ، وقال قتادة وعكرمة : صرتها ربتها ، وقيل : قولها أوه ، وقيل : يا ويلتي ، وقيل : في شدة ، وقيل : الصرة الجماعة المنضم بعضهم إلى بعض كأنهم صرروا أي جمعوا في وعاء - وإلى هذا ذهب ابن بحر - قال : أي أقبلت في صرة من نسوة تبادرن نظراً إلى الملائكة عليهم السلام ، والجار والمجرور في موضع الحال ، أو المفعول به إن فسر (أقبلت) بأخذت قيل : إن (في) عليه زائدة كما في قوله : * يخرج في عراقيها نصلي * والتقدير أخذت

صيحة ، وقيل : بل الجار والمجرور في موضع الخبر لأن الفعل حينئذ من أفعال المقاربة (فَصَكَّتْ وَجْهَهَا) قال مجاهد: ضربت يدها على جبهتها وقالت : يا ويلتاه ، وقيل : إنها وجدت حرارة الدم فطمأت وجهها من الحياء ، وقيل : إنها لطمته تعجباً وهو فعل النساء إذا تعجبن من شيء (وَقَالَتْ عَجُوزٌ) أي أنا عجوز (عَقِيمٌ ٢٩) عاقر فكيف ألد ، وعقيم فعيل قيل : بمعنى فاعل أو مفعول وأصل معنى العقم اليبس (قَالُوا كَذَلِكَ) أي مثل ذلك القول الكريم الذي أخبرنا به (قَالَ رَبُّكَ) وإنما نحن معبرون نخبرك به عنه عز وجل لأننا نقوله من تلقاء أنفسنا ، وروى أن جبريل عليه السلام قال لها : انظري إلى سقف بيتك فنظرت فاذا جذوعه مورقة مثمرة (إِنَّهُ هُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ٣٠) فيكون قوله عز وجل حقاً وفعله سبحانه متقناً لا محالة ، وهذه المفاوضة لم تكن مع سارة فقط بل كانت مع إبراهيم أيضاً حسبما تقدم في سورة الحجر ، وإنما لم يذكر ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر - ههنا وفي سورة هود - *

(قَالَ) أي إبراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا الأمر (فَمَا خَطْبُكُمْ) أي شأنكم الخطير الذي لأجله أرسلتم سوى البشارة (أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ٣١) قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ (٣٢) يعنون قوم لوط عليه السلام (لَنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ) أي بعد قلب قراهم عاليها سافلها حسبما فصل في سائر السور الكريمة

﴿ حَجَارَةٌ مِنْ طِينٍ ٣٣ ﴾ أى طين متحجر وهو السجيل ؛ وفى تقييد كونها من طين رفع توهم كونها برداً فان بعض الناس يسمى البرد حجارة ﴿ مَسُومَةٌ ﴾ معلة من السومة وهى العلامة على كل واحدة منها اسم من يهلك بها ؛ وقيل : أعلت بأنهما من حجارة العذاب ، وقيل : بعلامة تدل على أنها ليست من حجارة الدنيا ، وقيل : مسومة مرسلّة من أسمت الابل فى المرعى ، ومنه قوله تعالى : (ومنه شجر فيه تسيمون) ﴿ عِنْدَ رَبِّكَ ﴾ أى فى محل ظهور قدرته سبحانه وعظمته عز وجل ، والمراد إنها معلة فى أول خلقها ، وقيل : المعنى إنها فى علم الله تعالى معلة ﴿ لِلْمُسْرِفِينَ ٣٤ ﴾ المجاوزين الحد فى الفجور ، و-أل- عند الامام للعهد أى لهؤلاء المسرفين ، ووضع الظاهر موضع الضمير ذمّاً لهم بالاسراف بعد ذمهم بالاجرام ، وإشارة إلى علة الحكم ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَخْرَجْنَا ﴾ إلى آخره حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ماجرى بين الملائكة وبين إبراهيم عليهم السلام من الكلام ، والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى موضع آخر كأنه قيل : فقاموا منه وجاءوا لوطا فجرى بينهم وبينه ماجرى فباشروا ماأمروا به فأخرجنا بقولنا (فأسر باهلك) الخ ﴿ مَنْ كَانَ فِيهَا ﴾ أى فى قرى قوم لوط وإضمارها بغير ذكر لشهرتها *

﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٣٥ ﴾ من آمن بلوط عليه السلام ﴿ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ ﴾ أى غير أهل بيت للبيان بقوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ٣٦ ﴾ فالكلام بتقدير مضاف ، وجوز أن يراد بالبيت نفسه الجماعة مجازاً ، والمراد بهم - كما أخرج ابن المنذر - وابن أبى حاتم - عن مجاهد لوط وابنتاه ، وأخرج ابن أبى حاتم عن سعيد ابن جبير أنه قال : كانوا ثلاثة عشر ، واستدل بالآية على اتحاد الإيمان والإسلام للاستثناء المعنوى فان المعنى فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فلم يكن المخرج إلا أهل بيت واحد وإلا لم يستقم الكلام ، وأنت تعلم أن هذا يدل على أنهما صادقان على الأمر الواحد لا ينفك أحدهما عن الآخر كالناطق والانسان إما على الاتحاد فى المفهوم وهو المختلف فيه عند أهل الأصول والحديث فلا ، فلا استدلال بها على اتحادهما فيه ضعيف ، نعم تدل على أنهما صفتا مدح من أوجه عديدة استحقاق الإخراج واختلاف الوصفين وجعل كل مستقلاً بأن يجعل سبب النجاة وما فى قوله تعالى : (من كان) أولاً ، و(غير بيت) ثانياً من الدلالة على المبالغة فان صاحبها محفوظ (من كان) وأين كان إلى غير ذلك ، ومعنى الوجدان منسوباً إليه تعالى العلم على ما قاله الراغب ، وذهب بعض الأجلة إلى أنه لا يقال : ما وجدت كذا إلا بعد الفحص والتفتيش ، وجعل عليه معنى الآية فأخرج ملائكتنا (من كان فيها من المؤمنين) فإوجد ملائكتنا فيها (غير بيت من المسلمين) أو فى الكلام ضرب آخر من المجاز فلا تغفل *

﴿ وَتَرَكْنَاهَا فِيهَا ﴾ أى فى القرى ﴿ آيَةً ﴾ علامة دالة على ما أصابهم من العذاب ، قال ابن جرير : هم أحجار كثيرة منضودة ، وقيل : تلك الأحجار التى أهلكوا بها ، وقيل : ما منن قال الشهاب : ثانه بحيرة طبرية ، وجوز أبو حيان كون ضمير (فيها) عائداً على الإهلاك التى أهلكوها فانها من أعاجيب الإهلاك يجعل أعالي القرية أسافل ، وإمطار الحجارة ، والظاهر هو الأول ﴿ لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٣٧ ﴾ أى من شأنهم أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فانهم لا يعتدون بها

ولا يبعدونها آية ﴿ وَفِي مُوسَى آية ﴾ عطف على (وتركنا فيها) بتقدير عامل له أى وجعلنا في موسى ، والجملة معطوفة على الجملة ، أو هو عطف على (فيها) بتغليب معنى عامل الآية، أو سلوك طريق المشاكلة في عطفه على الأوجه التي ذكرها النحاة في نحو * علفتها تبناً وماءً بارداً * لا يصح تسليط الترك بمعنى الإبقاء على قوله سبحانه . (وفي موسى) فقول أبي حيان . لا حاجة إلى إضمار (تركنا) لأنه قد أمكن العامل في المجرور تركنا الأول فيه بحث ، وقيل : (في موسى) خبر لمبتدأ محذوف أى (وفي موسى) آية ، وجوز ابن عطية . وغيره أن يكون معطوفاً على قوله تعالى . (وفي الأرض وما بينهما) اعتراض لتسليته عليه الصلاوة والسلام على مابر، وتعقبه في البحر بأنه بعيد جداً ينزه القرآن الكريم عن مثله ﴿ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ ﴾ قيل: بدل من (موسى)، وقيل . هو منصوب بآية ، وقيل : بمحذوف أى كائنة وقت إرسالنا ، وقيل : بتركنا *

﴿ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ٣٨ ﴾ هو ماظهر على يديه من المعجزات الباهرة، والسُلطان يطلق على ذلك مع شموله للواحد والمتعدد لأنه في الأصل مصدر ﴿ قَتَلْتُ بِرُكْنِهِ ﴾ فأعرض عن الإيمان بموسى عليه السلام على أن ركنه جانب بدنه وعطفه، والتولى به كناية عن الإعراض ، والبلاء للتعدي لان معناه ثنى عطفه ، أو للملابسة ، وقال قتادة : تولى بقومه على أن الركن بمعنى القوم لأنه يركن إليهم ويتقوى بهم ، والبلاء للمصاحبة أو للملابسة وكونها للسبية غير وجيه ، وقيل : تولى بقوته وسلطانه ، والركن يستعار للقوة - كما قال الراغب - وقرئ بركنه بضم الكاف اتباعاً للراء ﴿ وَقَالَ سَاحِرٌ ﴾ أى هو ساحر ﴿ أَوْ مَجْنُونٌ ٣٩ ﴾ كان اللعين جعل ماظهر على يديه عليه السلام من الخوارق العجيبة منسوبة إلى الجن وتردد في أنه حصل باختياره فيكون سحراً ، أو بغير اختياره فيكون جنوناً ، وهذا مبنى على زعمه الفاسد وإلا فالسحر ليس من الجن كما بين في محله - فأو - للشك ، وقيل : للإيهام ، وقال أبو عبيدة : هى بمعنى الواو لأن اللعين قال الامرين قال : (إن هذا لساحر عليم) وقال : (إن رسواكم الذى أرسل اليكم لمجنون) وأنت تعلم أن اللعين يتلون تلون الحرباء فلا ضرورة تدعو إلى جعلها بمعنى الواو ﴿ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ ﴾ طرحناه غير معتدين بهم ﴿ فِي الْيَمِّ ﴾ في البحر، والمراد فأغرقناه فيه ، وفي الكلام من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية ونهاية قسوة فرعون وقومه ما لا يخفى ﴿ وَهُوَ مُلِيمٌ ٤٠ ﴾ أى آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان فالأفعال هنا للآتيان بما يقتضى معنى ثلاثيه كإغرب إذا أتى أمراً غريباً ، وقيل : الصيغة للنسب ، أو الإسناد للسبب - وهو كما ترى - وكون الملام عليه هنا الكفر والطغيان هو الذى يقتضيه حال فرعون وهو بما يختلف باعتبار من وصف به فلا يتوهم أنه كيف وصف اللعين بما وصف به ذو النون عليه السلام ﴿ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا ﴾ على طرز ما تقدم ﴿ عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ٤١ ﴾ الشديد التى لا تلقح شيئاً كما أخرجه جماعة عن ابن عباس وصححه الحاكم، وفي لفظ هى ريح لا بركة فيها ولا منفعة ولا ينزل منها غيث ولا يلقح بها شجر كأنه شبه عدم تضمن المنفعة بعقم المرأة ففعل بمعنى فاعل من اللازم وكون هذا المعنى لا يصح هنا مكابرة ، وقال بعضهم وهو حسن : سميت عقياً لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم على أن هناك استعارة تبعية شبه إهلاكهم وقطع دابرهم بعقم النساء وعدم

حملهن لما فيه من إذهاب النسل ثم أطلق المشبه به على المشبه واشتق منه العقيم ، وفعل قيل : بمعنى فاعل أو مفعول ، وهذه الريح كانت الدبور لما صح من قوله صلى الله تعالى عليه وسلم : « نصرت بالصبا وأهلك عاد الدبور ، وأخرج الفريابي ، وابن المنذر عن علي كرم الله تعالى وجهه أنها النكباء ، وأخرج ابن جرير وجماعة عن ابن المسيب أنها الجنوب ، وأخرج ابن المنذر عن مجاهد أنها الصبا ، والمعول عليه ما ذكرنا أولاً ، ولعل الخبر عن الأمير كرم الله تعالى وجهه غير صحيح ﴿ مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ ما تدع شيئاً ﴿ أَتَتْ عَلَيْهِ ﴾ جرت عليه ﴿ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ٤٣ ﴾ الشيء البالي من عظم ، أو نبات ، أو غير ذلك من رم الشيء بلى ، ويقال للبالي : رمام كغراب ، وأرم أيضاً لكن قال الراغب : يختص الرم بالفتات من الخشب والتبن ، والرمة بالكسر تختص بالعظم البالي ، والرمة بالضم بالحبل البالي ، وفسره السدي هنا بالتراب ، وقتادة بالهشيم ، وقطرب بالرماد ، وفسره ابن عيسى بالمنسحق الذي لا يرم أى لا يصلح ثأنه جعل الهمزة فى أرم للسلب ، والجملة بعد (إلا) حالية ، والشيء هنا عام مخصوص أى من شيء أراد الله تعالى تدميره وإهلاكه من ناس . أوديار . أو شجر . أو غير ذلك ، روى أن الريح كانت تمر بالناس فيهم الرجل من عاد فتنزعه من بينهم وتهلكه ﴿ وَفِي نَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمُ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ٤٣ ﴾ أخرج البيهقي في سننه عن قتادة أنه ثلاثة أيام - وإليه ذهب الفراء . وجماعة - قال : تفسيره قوله تعالى : (تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام) واستشكل بأن هذا التمتع مؤخر عن العتو لقوله تعالى : (فاعتروها فقال تمتعوا) الخ ، وقوله تعالى : ﴿ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ ﴾ يدل على أن العتو مؤخر ، وأجيب بأن هذا مرتب على تمام القصة كأنه قيل : نوجعلنا فى زمان قولنا ذلك لنمود آية أو فى زمان قولنا ذلك لنمود آية ، ثم أخذ فى بيان كونه آية ففعل . (فعتوا عن أمر ربهم) أى فاستكبروا عن الامتثال به إلى الآخر . فالفاء للتفصيل قال فى الكشف . وهو الظاهر من هذا المساق ، وكذلك قوله تعالى : (فتولى بركنه) مرتب على القصة زمان إرسال موسى عليه السلام بالسلطان ، وإن كان هناك لا مانع من الترتب على الإرسال وذلك لأنه جىء بالظرف مجىء الفضلة حيث جعل فيه الآية ، والقصة من توليهم إلى هلاكهم انتهى ، وقال الحسن . هذا أى - القول لهم تمتعوا حتى حين - كان حين بعث اليهم صالح أمروا بالإيمان بما جاء به ، والتمتع إلى أن تأتى آجالهم - ثم عتوا بعد ذلك - قال فى البحر ، ولذلك جاء العطف بالفاء المقترنة تأخر العتو عما أمروا به فهو مطابق لفظاً ووجوداً واختاره الإمام فقال . قال بعض المفسرين . المراد بالحين الأيام الثلاثة التى أمهلوها بعد عقر الناقة وهو ضعيف لأن ترتب فعتوا بالفاء دليل على أن العتو كان بعد القول المذكور ، فالظاهر أنه ما قدر الله تعالى من الآجال فما من أحد إلا وهو بمهل مدة الأجل كأنه يقول له . تمتع إلى آخر أجلك فان أحسنت فقد حصل لك التمتع فى الدارين وإلا فمالك فى الآخرة من نصيب انتهى ، وما تقدم أبعد مغزى ﴿ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّعْقَةُ ﴾ أى أهلكتهم ، روى أن صالحاً عليه السلام وعدمهم الهلاك بعد ثلاثة أيام ، وقال لهم . تصبح وجوهكم غداً مصفرة . وبعد غد محمرة . واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب ، ولما رأوا الآيات التى بينها عليه السلام عمدوا إلى قتله فنجاه الله تعالى فذهب إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفونوا بالأنطاع فأتتهم الصاعقة وهى نار من السماء ، وقيل . صيحة منها فهلكوا ، وقرأ عمر . وعثمان رضى الله تعالى عنهما . والكسائي الصعقة

وهي المرة من الصعق بمعنى الصاعقة أيضا ، أو الصيحة ﴿ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ٤٤ ﴾ إليها ويعاينونها ويحتاج إلى تنزيل المسموع منزلة المبصر على القول بأن الصاعقة الصيحة وأن المراد ينظرون إليها ، وقال مجاهد: (ينظرون) بمعنى ينظرون أي وهم ينتظرون الأخذ والعذاب في تلك الأيام الثلاثة التي رأوا فيها علاماته وانتظار العذاب أشد من العذاب ﴿ قَدْ اسْتَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ ﴾ كقوله تعالى: (فأصبحوا في دارهم جاثمين) وقيل: هو من قولهم: ما يقوم فلان بكذا إذا عجز عن دفعه ، وروى ذلك عن قتادة فهو معنى مجازي ، أو كناية شاعت حتى التحقت بالحقيقة ﴿ وَمَا كَانُوا مُتَتَّبِعِينَ ٤٥ ﴾ بغيرهم كما لم يتمنعوا بأنفسهم ﴿ وَقَوْمٌ نوح ﴾ أي وأهلكنا قوم ، فان ما قبله يدل عليه ، أو واذكر ، وقيل : عطف على الضمير في (فأخذتهم) ، وقيل : في (فنبذناهم) لأن معنى كل فأهلكناهم - وهو كما ترى - وجوز أن يكون عطفاً على محل (وفي عاد) أو (وفي ثمود) وأيد بقراءة عبدالله . وأبي عمرو . وحمة . والكسائي . وقوم بالجر ، وقرأ عبد الوارث . ومحبوب . والاصمعي عن أبي عمرو . وأبو السمال . وابن مقسم . وقوم بالرفع والظاهر أنه على الابتداء ، والخبر محذوف أي أهلكناهم ﴿ مِنْ قَبْلُ ﴾ أي من قبل هؤلاء المهلكين ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ٤٦ ﴾ خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصي ﴿ وَالسَّمَاءِ ﴾ أي وبنينا السماء ﴿ بَنَيْنَاهَا بَيِّنَاتٍ ﴾ أي بقوة قاله ابن عباس . ومجاهد . و قتادة ، ومثله - الآد - وليس جمع (يد) وجوزة الامام وإن صحت التورية به ﴿ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ٤٧ ﴾ أي لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة ، فالجمله تذييل لإثباتا لسعة قدرته عز وجل كل شئ فضلا عن السماء ، وفيه رمز إلى التعريض الذي في قوله تعالى : (وما مسنا من لغوب) ، وعن الحسن (لموسعون) الرزق بالمطر وكأنه أخذه من أن المساق مساق الامتتان بذلك على العباد لإظهار القدرة فكأنه أشير في قوله تعالى : (والسماء بنيناها بأيد) إلى ما تقدم من قوله سبحانه : (وفي السماء رزقكم) على بعض الأقوال فناسب أن يتمم بقوله تعالى : (وإنا لموسعون) مبالغة في المن ولا يحتاج أن يفسر الأيد بالإنعام على هذا القول لأنه يتم المقصود دونه ، واليد بمعنى النعمة لا الإينعام ، وقيل : أي لموسعوها بحيث أن الأرض وما يحيط بها من الماء والهواء بالنسبة إليها كحلفة في فلاة ، وقيل : أي لجاعلون بينها وبين الأرض سعة ، والمراد السعة المكانية ، وفيه على القولين تتسم أيضا ﴿ وَالْأَرْضِ ﴾ أي وفرشنا الأرض ﴿ فَرَشْنَاهَا ﴾ أي مهدناها وبسطناها لتستقر وأعليها ولا ينافي ذلك شبهها للكرة على ما يزمعه فلاسفة العصر ﴿ فَتَعَمَّ الْمَهُدُونَ ٤٨ ﴾ أي نحن ، وقرأ أبو السمال . ومجاهد . وابن مقسم برفع السماء ورفع الأرض على أنهما مبتدآن وما بعدهما خبر لهما ﴿ وَمَنْ كُلُّ شَيْءٍ ﴾ أي من كل جنس من الحيوان ﴿ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ نوعين ذكرأ وأنثى - قاله ابن زيد . وغيره - وقال مجاهد : هذا إشارة إلى المتضادات والمتقابلات كالليل . والنهار . والشقوة والسعادة . والهدى . والضلال . والسماء . والأرض . والسواد . والبياض . والصحة . والمرض . إلى غير ذلك ، ورجحه الطبري بأنه أدل على القدرة ، وقيل : أريد بالجنس

المنطقي ، وأقل ما يكون تحته نوعان فخلق سبحانه من الجوهر مثلاً المادى والمجرد ، ومن المادى النامى والجامد ، ومن النامى المدرك والنبات ، ومن المدرك الصامت والناطق وهو كما ترى ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ٤٩﴾ أى فعلنا ذلك كله لى تتذكروا فتعرفوا أنه عز وجل الرب القادر الذى لا يعجزه شئ فتعملوا بمقتضاه ولا تعبدوا ماسواه ، وقيل : خلقنا ذلك لى تتذكروا فتعلموا أن التعدد من خواص الممكنات وأن الواجب بالذات سبحانه لا يقبل التعدد والانقسام ، وقيل : المراد التذكر بجميع ما ذكر لا من الحشر والنشر لأن من قدر على إيجاد ذلك فهو قادر على إعادة الاموات يوم القيامة وله وجه ، وقرأ أبى تتذكرون بتمامين وتخفيف الذال ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ تفريع على قوله سبحانه : (لعلكم تذكرون) وهو تمثيل للاعتصام به سبحانه وتعالى وتوحيده عز وجل ، والمعنى قل يا محمد : (فقرؤا إلى الله) لمكان ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ﴾ أى من عقابه تعالى المعدل لم يفر إليه سبحانه ولم يوحده ﴿نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥٠﴾ نين كونه منذراً من الله سبحانه بالمعجزات ، أو (مبين) ما يجب أن يحذر عنه •

﴿وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ عطف على الأمر ، وهو نهى عن الإشراك صريحاً على نحو وحدوه ولا تشركوا ، ومن الأذكار المأثورة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وكرر قوله تعالى :

﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ٥١﴾ لاتصال الأول بالأمر واتصال هذا بالنهى والغرض من كل ذلك الحث على التوحيد والمبالغة فى النصيحة ، وقيل : إن المراد بقوله تعالى : (فقرؤا إلى الله) الأمر بالإيمان وملازمة الطاعة ، وذكر (ولا تجعلوا) الخ ، إفراداً لأعظم ما يجب أن يفر منه ، و(إنى لكم) الخ ، الأول مرتب على ترك الايمان والطاعة ، والثانى على الإشراك فهما متغايران لتغاير ما ترتب كل منهما عليه ووقع تعليلاً له ولا يخلو عن كدر ، وقال الزمخشري : فى الآية : (فروا إلى) طاعته وثوابه من معصيته وعقابه ووجدوا ولا تشركوا به ، وكرر (إنى لكم) الخ عند الأمر بالطاعة والنهى عن الشرك ليعلم أن الايمان لا ينفع إلا مع العمل كما أن العمل لا ينفع إلا مع الايمان وأنه لا يفوز عند الله تعالى إلا الجامع بينهما انتهى ، وفيه أنه لادلالة فى الآية على ذلك بوجه ثم تفسير الفرار إلى الله بما فسرهُ أيضاً لينطبق على العمل وحده غير مسلم على أنه لو سلم الانذار بترك العمل فمن أين يلزم عدم النفع ، وأهل السنة لا ينازعون فى وقوع الانذار بارتكاب المعصية ، فالمناسق إلى الذهن على تقدير كون المراد بالفرار إلى الله تعالى العبادة أنه تعالى أمرها أولاً وتوعد تاركها بالوعيد المعروف له فى الشرع وهو العذاب دون خلود ، ونهى جل شأنه ثانياً أن يشرك بعبادته سبحانه غيره وتوعد المشرك بالوعيد المعروف له وهو الخلود ، وعلى هذا يكون الوعيدان متغايرين وتكون الآية فى تقديم الأمر على النهى فيها نظير قوله تعالى : (فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً) ، وقوله سبحانه : (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) وأين هذا بما ذكره الزمخشري عامله الله تعالى بعدله •

﴿كَذَلِكَ﴾ أى الأمر مثل ذلك تقرير وتوكيد على مامر غير مرة ، ومن فصل الخطاب لأنه لما أراد سبحانه أن يستأنف قصة قولهم المختلف فى الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم بعد أن تقدمت عموماً أو خصوصاً فى قوله تعالى : (إنكم لفي قول مختلف) وكان قد توسط ما توسط قال سبحانه : الأمر كذلك أى مثل ما يذكروا بآتيك

خبره إشارة إلى الكلام الذي يتلوه أعنى قوله عز وجل : ﴿ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ إلى آخره فهو تفسير مأجل وهو مراد من قال: الإشارة إلى تكذيبهم الرسول عليه الصلاة والسلام وتسميتهم إياه وحاشاه ساحراً ومجنوناً ، ويعلم بما ذكر أن كذلك خبر مبتدأ محذوف ولا يجوز نصبه بأتى على أنه صفة لمصدره ، والإشارة إلى الإتيان أى (ما أتى الذين من قبلهم) من رسول إتياناً مثل إتيانهم (إلا قالوا) إلخ لأن ما بعد (ما) النافية لا يعمل فيما قبلها على المشهور ، ولا يأتي مقدراً على شريطة التفسير لأن ما لا يعمل لا يفسر عاملاً في مثل ذلك كما صرح به النحاة ، وجعله معمولاً لقالوا ، والإشارة للقول أى إلا قالوا ساحر أو مجنون قولاً مثل ذلك القول لا يجوز أيضاً على تعسفه لمكان (ما) وضمير قبلهم لقريش أى ما أتى الذين من قبل قريش ﴿ مِنْ رَسُولٍ ﴾ أى رسول من رسل الله تعالى ﴿ إِلَّا قَالُوا ﴾ في حقه ﴿ سَاحِرٌ أَوْ مُجْنُونٌ ٥٢ ﴾ خبر مبتدأ محذوف أى هو ساحر، و- أو- قيل : من الحكاية أى (إلا قالوا ساحر)، أو (قالوا مجنون) وهى لمنع الخلو وليست من المحكى ليكون مقول كل مجموع (ساحر أو مجنون) وفي البحرهى للتفصيل أى قال بعض : ساحر، وقال بعض : مجنون، وقال بعض : ساحر ومجنون فجمع القائلون في الضمير ودلت - أو - على التفصيل انتهى فلا تغفل .

واستشكلت الآية بأنها تدل على أنه ما من رسول إلا كذب مع أن الرسل المقررين شريعة من قبلهم كيوشع عليه السلام لم يكذبوا وكذا آدم عليه السلام أرسل ولم يكذب . وأجاب الامام بقوله : لانسلم أن المقرر رسول بل هو نبي على دين رسول ومن كذب رسوله فهو يكذبه أيضاً وتعقب بأن الأخبار وكذا الآيات دالة على أن المقررين رسل، وأيضاً يبقى الاستشكال بآدم عليه السلام وقد اعترف هو بأنه أرسل ولم يكذب وأجاب بعض عن الاستشكال بالمقررين بأن الآية إنما تدل على أن الرسل الذين أتوا من قبلهم كلهم قد قيل في حقهم ما قيل، ولا يدخل في عموم ذلك المقررون لان المتبادر من إتيان الرسول قوماً معيَّته إياهم مع عدم تبليغ غيره إياهم ما أتى به من قبله وذلك لم يحصل للمقرر شرع من قبله كما لا يخفى ، وعن الاستشكال بآدم عليه السلام بأن المراد - ما أتى الذين من قبلهم من الامم الذين كانوا موجودين على نحو وجود هؤلاء رسول إلا قالوا - الخ ، وآدم عليه السلام لم يأت أمة كذلك إذ لم يكن حين أرسل إلا زوجته حواء ، ولعله أولى بما قيل : إن المراد من رسول من بنى آدم فلا يدخل هو عليه السلام في ذلك ، واستشكلت أيضاً بأن (إلا قالوا) يدل على أنهم كلهم كذبوا مع أنه ما من رسول إلا آمن به قوم، وأجاب الامام بأن إسناد القول إلى ضمير الجمع على إرادة الكثير بل الأكثر ، وذكر المكذب فقط لانه الأوفق بغرض التسلية ، وأخذ منه بعضهم الجواب عن الاستشكال السابق فقال : الحكم باعتبار الغالب لأن كل أمة من الامم أتاها رسول فكذبته ليرد آدم والمقررون حيث لم يكذبوا - وفيه ما فيه - وحمل بعضهم الذين من قبلهم على الكفار ودفع به الاستشكالين - وفيه ما لا يخفى - فتأمل جميع ذلك ولا تنظر انحصار الجواب فيما سمعت فأمعن النظر والله تعالى الهادي لأحسن المسالك ﴿ أَتَوْا صَوًّا بِهِ ﴾ تعجيب من إجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة أى كأن الاولين والآخرين منهم أوصى بعضهم بعضاً بهذا القول حتى قالوه جميعاً ، وقيل : إنكار للتواصي أى ما تواصوا به .

﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ٥٣﴾ إضراب عن أن التواصي جامعهم إلى أن الجامع لهم على ذلك القول مشاركتهم في الطغيان الحامل عليه *

﴿فَقَوْلَ عَنْهُمْ﴾ فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة ولم تأل جهداً في البيان فأبوا إلا إباءاً وعناداً ﴿فَمَا أَنْتَ بَمَلُومٍ ٥٤﴾ على التولى بعد ما بذلت المجهود وجاوزت في الإبلوغ كل حد معبود *

﴿وَذَكَرْ﴾ آدم على فعل التذكير والموعظة ولا تدع ذلك بفلاًمر بالتذكير للدوام عليه والفعل منزل منزلة اللازم، وجوز أن يكون المفعول محذوفاً أي فذكرهم وحذف لظهور الأمر *

﴿فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ٥٥﴾ أي الذين قدر الله تعالى إيمانهم، أو المؤمنين بالفعل فإنها تريد بصيرة وقوة في اليقين، وفي البحر يدل ظاهر الآية على الموعظة وهي منسوخة بآية السيف، وأخرج أبو داود في ناسخه، وابن المنذر عن ابن عباس في قوله تعالى: (فتول عنهم) الخ، قال: أمره الله تعالى أن يتولى عنهم ليعذبهم وعذر محمد ﷺ ثم قال سبحانه: (وذكر) الخ فنسختها *

وأخرج ابن جرير. وابن أبي حاتم. والبيهقي في الشعب. والضياء في المختارة. وجماعة من طريق مجاهد عن علي كرم الله تعالى وجهه قال: لما نزلت (فتول عنهم فما أنت بملوم) لم يبق منا أحد إلا أيقن بالهلاكة إذ أمر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم أن يتولى عنا فنزلت (وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين) فطابت أنفسنا، وعن قتادة أنهم ظنوا أن الوحي قد انقطع وأن العذاب قد حضر فأنزل الله تعالى (وذكر) الخ *

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ٥٦﴾ استئناف مؤكد للأمر مقرر لمضمون تعليله فإن خلقهم لاذكر سبحانه وتعالى بما يدعوه صلى الله تعالى عليه وسلم إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكرو والاعتاظ، ولعل قدیم الجن في الذكر لتقدم خلقهم على خلق الانس في الوجود، والظاهر أن المراد من يقابلون بهم وبالملائكة عليهم السلام ولم يذكر هؤلاء قيل: لأن الأمر فيهم مسلم، أو لأن الآية سيقى لبیان صنيع المكذبين حيث تركوا عبادة الله تعالى وقد خلقوا لها؛ وهذا الترك مما لا يكون فيهم بل هم عباد مكرمون لا يستكبرون عن عبادة عز وجل، وقيل: لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم ليس مبعوثاً اليهم فليس ذكرهم في هذا الحكم بما يدعوه عليه الصلاة والسلام إلى تذكيرهم، وأنت تعلم أن الأصح عموم البعثة فالأولى ما قيل بدله لاستغنائهم عن التذكير والموعظة، وقيل: المراد بالجن ما يتناولهم لانه من الاستتار وهم مستترون عن الانس، وقيل: لا يصح ذكرهم في حيز الخلق لانهم كالأرواح من عالم الأمر المقابل لعالم الخلق، وقد أشير اليها بقوله تعالى: (له الخلق والامر) ورد بقوله سبحانه: (خالق كل شئ وله الخلق والامر) ليس كما ظن والعبادة غاية التذلل، والظاهر أن المراد بها ما كانت بالاختيار دون التي بالتسخير الثابتة لجميع المخلوقات وهي الدلالة المنسبة على كونها مخلوقة وأنها خلق فاعل حكيم، ويعبر عنها بالسجود كما في قوله تعالى: (والنجم والشجر يسجدان) وأل في الجن والانس على المشهور للاستغراق، واللام قيل: للغاية والعبادة وإن لم تكن غاية مطلوبة من الخلق لقيام الدليل على أنه عز وجل لم يخلق الجن والانس لاجلها أي لارادتها منهم إذ لو أرادها سبحانه منهم لم يتخلف ذلك لاستلزام

الإرادة الإلهية للمراد كما بين في الاصول مع أن التخلف محقق بالمشاهدة، وأيضا ظاهر قوله تعالى: (ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس) يدل على إرادة المعاصي من الكثير ليستحقوا بها جهنم فينا في إرادة العبادة لكن لما كان خلقهم على حالة صالحة للعبادة مستعدة لها حيث ركب سبحانه فيهم عقولا وجعل لهم حواس ظاهرة وباطنة إلى غير ذلك من وجوه الاستعداد جعل خلقة لهم مغيا بها مبالغة بتشبيه المعتدله الشيء بالغاية ومثله شائع في العرف، ألا تراهم يقولون للقوى جسمه: هو مخلوق للمصارعة، وللبقرة: هي مخلوقة للحرث *

وفي الكشف أن أفعاله تعالى تنساق إلى الغايات الكمالية واللام فيها موضوعها ذلك، وأما الإرادة فليست من مقتضى اللام إلا إذا علم أن الباعث مطلوب في نفسه وعلى هذا لا يحتاج إلى تأويل فانهم خلقوا بحيث يتأتى منهم العبادة وهدوا إليها وجعلت تلك غاية كالية لخلقهم، وتعوق بعضهم عن الوصول إليها لا يمنع كون الغاية غاية، وهذا معنى مكشوف انتهى. فتأمل، وقيل: المراد بالعبادة التذلل والخضوع بالتسخير، وظاهر أن الكل عابدون إياه تعالى بذلك المعنى لا فرق بين مؤمن، وكافر، وبر، وفاجر، ونحوه ما قيل: المعنى ما خلقت الجن والانس إلا ليزلوا لقضائي، وقيل: المعنى ما خلقتهم إلا ليكونوا عبادا لي، ويراد بالعباد العبد بالابحاد وعموم الوصف عليه ظاهر لقوله تعالى: (إن كل من في السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً) لكن قيل عليه: إن عبد بمعنى صار عبداً ليس من اللغة في شيء، وقيل: العبادة بمعنى التوحيد بناءً على ما روى عن ابن عباس أن كل عبادة في القرآن فهو توحيد فالكل يوحده تعالى في الآخرة أما توحيد المؤمن في الدنيا هناك فظاهر، وأما توحيد المشرك فيدل عليه قوله تعالى: (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) وعليه قول من قال: لا يدخل النار كافر، أو المراد كما قال السكبي: إن المؤمن يوحده في الشدة والرخاء والكافر يوحده سبحانه في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، كما قال عز وجل: (فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين) ولا يخفى بعد ذلك عن الظاهر والسياق، ونقل عن علي كرم الله تعالى وجهه، وابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما خلقهم إلا لأمرهم وأدعوا للعبادة فهو كقوله تعالى: (وما أمروا إلا ليعبدوا الله) فذكر العبادة المسببة شرعاً عن الأمر أو اللازمة له، وأريد سببها أو ملزومها فهو مجاز مرسل، وأنت تعلم أن أمر كل من أفراد الجن وكل من أفراد الانس غير متحقق لاسيما إذا كان غير المكلفين كالأطفال الذين يموتون قبل زمان التكليف داخلين في العموم، وقال مجاهد: إن معنى (ليعبدون) يعرفون وهو مجاز مرسل أيضاً من إطلاق اسم السبب على المسبب على ما في الإرشاد، ولعل السر فيه التنبيه على أن الاعتبار هي المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى لا ما يحصل بغيرها كحكمة الفلاسفة قيل: وهو حسن لأنهم لو لم يخلقهم عز وجل لم يعرف وجوده وتوحيده سبحانه وتعالى، وقد جاء «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» وتعقب بأن المعرفة الصحيحة لم تتحقق في كل بل بعض قد أنكر وجوده عز وجل كالطبيعيين اليوم فلا بد من القول السابق في توجيه التعليل ثم الخبر بهذا اللفظ ذكره سعد الدين سعيد الفرغاني في منتهى المدارك، وذكر غيره كالشيخ الأكبر في الباب المائة والثمانية والتسعين من الفتوحات بلفظ آخر وتعقبه الحفاظ فقال ابن تيمية: إنه ليس من كلام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف، وكذا قال الزركشي والحافظ ابن حجر، وغيرهما: ومن

يرويه من الصوفية معترف بعدم ثبوته نقلاً لكن يقول : إنه ثابت كشفاً ، وقد نص على ذلك الشيخ الأكبر قدس سره في الباب المذكور ، والتصحيح الكشفي شئشئة لهم ، ومع ذلك فيه إشكال معنى إلا أنه أجيب عنه ثلاث أجوبة ستأتي إن شاء الله تعالى ، وقيل : أل في (الجن والانس) للعهد ، والمراد بهم المؤمنون لقوله تعالى : (ولقد ذرأنا) الآية أى بناءً على أن اللام فيها ليست للعاقبة ، ونسب هذا القول لزيد بن أسلم . وسفيان ، وأيد بقوله تعالى قبل : (فان الذكري تنفع المؤمنين) وأيده في البحر برواية ابن عباس عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم « وما خلقت الجن والانس من المؤمنين » ورواها بعضهم قراءة لابن عباس رضى الله تعالى عنهما ، ومن الناس من جعلها للجنس ، وقال : يكفي في ثبوت الحكم له ثبوته لبعض أفرادها وهو هنا المؤمنون الطائعون وهو في المآل متحد مع سابقه ، ولا إشكال على ذلك في جعل اللام للغاية المطلوبة حقيقة وكذا في جعلها للغرض عند من يجوز تعليل أفعاله تعالى بالأغراض مع بقاء الغنى الذاتي وعدم الاستكمال بالغير - كما ذهب اليه كثير من السلف ، والمحدثين - وقد سمعت أن منهم من يقسم الارادة إلى شرعية تتعلق بالطاعات وتكوينية تتعلق بالمعاصي وغيرها ، وعليه يجوز أن يبقى (الجن والانس) على شمولها للعاصين ، ويقال : إن العبادة مرادة منهم أيضاً لكن بالارادة الشرعية إلا أنه لا يتم إلا إذا كانت هذه الارادة لا تستلزم وقوع المراد كالارادة التفويضية القائل بها المعتزلة *

هذا وإذا أحطت خبراً بالأقوال في تفسير هذه الآية هان عليك دفع ما يترامى من المنافاة بينها وبين قوله تعالى : (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) على تقدير كون الإشارة إلى الاختلاف بالتزام بعض هاتيك الأقوال فيها ، ودفعه بعضهم بكون اللام في تلك الآية للعاقبة والذي ينساق إلى الذهن أن الحصر لإضافي أى خلقتهم للعبادة دون ضدها أو دون طلب الرزق والاطعام على ما يشير اليه كلام بعضهم أخذاً من تعقيب ذلك بقوله سبحانه : ﴿ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا ۖ ه٥٧ ﴾ وهو لبيان أن شأنه تعالى شأنه مع عباده ليس كشأن السادة مع عبيدهم لأنهم إنما يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معاشهم وأرزاقهم ، ومالك ملاك العبيد نفي عز وجل أن يكون ملكه إياهم لذلك فكأنه قال سبحانه : ما أريد أن أستعين بهم كما يستعين ملاك العبيد بعبيدهم فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتي ، وذكر الامام فيه وجهين : الأول أن يكون لدفع توهم الحاجة من خلقهم للعبادة ، والثاني أن يكون لتقرير كونهم مخلوقين لها ، وبين هذا بأن الفعل في العرف لا بد له من منفعة لكن العبيد على قسمين : قسم يتخذون لظهار العظمة بالمثل بين أيادي ساداتهم وتعظيمهم إياهم كعبيد الملوك ، وقسم يتخذون للاتفاف بهم في تحصيل الارزاق أو لاصلاحها ، فكأنه قال سبحانه : إني خلقتهم ولا بد فيهم من منفعة فليتكفروا في أنفسهم هل هم من قبيل أن يطلب منهم تحصيل رزق وليسوا كذلك فما أريد منهم من رزق ، وهل هم ممن يطلب منهم إصلاح قوت كالطباخ ومن يقرب الطعام ؟ وليسوا كذلك (فما أريد أن يطعمون) فإذا هم عبيد من القسم الأول ، فينبغي أن لا يتركوا التعظيم ، والظاهر أن المعنى ما أريد منهم من رزق لي لمساكن قوله سبحانه : (وما أريد أن يطعمون) واليه ذهب الامام ، وذكر في الآية لطائف : الاولى أنه سبحانه كرر نفي الارادتين لان السيد قد يطلب من العبيد التكسب له وهو طلب الرزق وقد لا يطلب حيث كان له مال وافر لكنه يطلب قضاء

حواجه من حفظ المال وإحضار الطعام من ماله بين يديه، فنفى الإرادة الأولى لا يستلزم نفى الإرادة الثانية فكرر النهي على معنى لا أريد هذا ولا أريد ذلك، الثانية أن ترتيب النفيين كما تضمنه النظم الجليل من باب الترقى في بيان غناه عز وجل كأنه قال سبحانه: لا أطلب منهم رزقاً ولا ما هو دون ذلك وهو تقديم الطعام بين يدي السيد فإن ذلك أمر كثيراً ما يطلب من العبيد إذا كان التكسب لا يطلب منهم، الثالثة أنه سبحانه قال: ما أريد منهم من رزق دون ما أريد منهم أن يرزقون لأن التكسب لطلب العين لا الفعل، وقال سبحانه: (ما أريد أن يطعمون) دون ما أريد من طعام لأن ذلك الإشارة إلى الاستغناء عما يفعله العبد الغير المأمور بالتكسب كعبد وافر المال والحاجة إليه للفعل نفسه، الرابعة أنه جل وعلا خص الاطعام بالذكر لأن أدنى درجات الاستعانة أن يستعين السيد بعبد في تهيئة أمر الطعام ونفى الأدنى يتبعه نفى الأعلى بطريق الأولى فكأنه قيل: ما أريد منهم من عين ولا عمل، الخامسة أن (ما) لنفى الحال إلا أن المراد به الدنيا وتعرض له دون نفى الاستقبال لأن من المعلوم البين أن العبد بعد موته لا يصلح أن يطلب منه رزق أو إطعام انتهى، فتأمل *

ويفهم من ظاهر كلام الزمخشري أن المعنى ما أريد منهم من رزق لي ولهم، وفي البحر ما أريد منهم من رزق أى أن يرزقوا أنفسهم ولا غيرهم (وما أريد أن يطعمون) أى أن يطعموا خلقى فهو على حذف مضاف قاله ابن عباس انتهى، ونحوه ما قيل: المعنى ما أريد أن يرزقوا أحداً من خلقى ولا أريد أن يطعموه، وأسند الإطعام إلى نفسه سبحانه لأن الخلق كلهم عيال الله تعالى. ومن أطعم عيال أحد فكأنما أطعمه، وفي الحديث «يا عبدى مرضت فلم تعدنى وجعت فلم تطعمنى» فانه كما يدل عليه آخره على معنى مرض عبدى فلم تعده وجاع فلم تطعمه، وقيل: الآية مقدرة بقل فتكون بمعنى قوله سبحانه: (قل لا أسألكم عليه أجراً) والغيبة فيها رعاية للحكاية إذ في مثل ذلك يجوز الأمران الغيبة والخطاب، وقد قرئ بهما في قوله تعالى: (قل للذين كفروا ستغلبون)، وقيل: المراد قل لهم وفي حقهم فتلائمه الغيبة في (منهم) و (يطعمون) ولا ينافى ذلك قراءة - أنى أنا الرزاق - فيما بعد لانه حينئذ تعليل للامر بالقول، أو الاتهام لعدم الإرادة، نعم لاشك في أنه قول بعيد جداً ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ﴾ الذى يرزق كل مفتقر إلى الرزق لا غيره سبحانه استقلالاً، أو اشتراكاً ويفهم من ذلك استغناؤه عز وجل عن الرزق ﴿ذُو الْقُوَّةِ﴾ أى القدرة ﴿الْمَتِينُ ٥٨﴾ شديد القوة، والجملة تعليل لعدم الإرادة قال الامام: كونه تعالى هو الرزاق ناظر إلى عدم طلب الرزق لأن من يطلبه يكون فقيراً محتاجاً، وكونه عز وجل هو ذو القوة المتين ناظر إلى عدم طلب العمل المراد من قوله سبحانه: (وما أريد أن يطعمون) لأن من يطلبه يكون عاجزاً لا قوة له فكأنه قيل: ما أريد منهم من رزق لأنى أنا الرزاق وما أريد منهم من عمل لأنى قوى متين، وكان الظاهر - أنى أنا الرزاق - كما جاء في قراءة له ﷺ لكن التفت إلى الغيبة، والتعبير بالاسم الجليل لاشتهاره بمعنى المعبودية فيكون في ذلك إشعار بعلّة الحكم ولتخرج الآية مخرج المثل كما قيل ذلك في قوله تعالى: (إن الباطل كان زهوقاً) والتعبير به على القول بتقدير قل فيما تقدم هو الظاهر، وتحتاج القراءة الاخرى إلى ما ذكرناه آنفاً، وآثر سبحانه ذو القوة على القوى قيل: لأن في (ذو) كما قال ابن حجر الهيتمي وغيره تعظيم ما أضيفت إليه، والموصوف بها والمقام يقتضيه ولذا جئ

بالميتين بعد ولم يكتف به عن الوصف بالقوة ؛ وقال الامام : لما كان المقصود تقرير ما تقدم من عدم إرادة الرزق وعدم الاستعانة بالغير جئ بوصف الرزق على صيغة المبالغة لأنه بدونها لا يكفي في تقرير عدم إرادة الرزق وبوصف القوة بما لا مبالغة فيه لكفائيته في تقرير عدم الاستعانة فان من له قوة دون الغاية لا يستعين بغيره لكن لما لم يدل ذو القوة على أكثر من أن له تعالى قوة (ما) زيد الوصف بالميتين وهو الذي له ثبات لا يتزلزل ، ثم قال : إن القوى أبلغ من ذى القوة والعزة أكل من المتانة وقد قرن الاكل بالاكل وما دونه بما دونه في قوله تعالى : (ليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب إن الله قوى عزيز) وفي قوله تعالى : (إن الله هو الرزاق) الخ لما اقتضى المقام ذلك ، وقد أطال الكلام في هذا المقام وما أظنه يصفو عن كدر ، وقرأ ابن محيصن - الرزاق - بزنة الفاعل ، وقرأ الاعمش . وابن وثاب - المتين - بالجر ، وخرج على أنه صفة القوة ، ووجاز ذلك مع تذكيره لتأويلها بالاقتدار أو لكونه على ذمة المصادر التي يستوى فيها المذكر والمؤنث ، أو لأجرائه مجرى فعيل بمعنى مفعول ، وأجاز أبو الفتح أن يكون صفة - لذو - وجر على الجوار - كقولهم هذا جحر ضب خرب - وضعف ﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ﴾ أى إذا ثبت أن الله تعالى ما خلق الجن والانس إلا ليعبدوه وأنه سبحانه ما يريد منهم من رزق إلى آخر ما تقدم فان للذين ظلموا أنفسهم باشتغالهم بغير ما خلقوا له من العبادة وإشراكهم بالله عز وجل وتكذيبهم رسوله عليه الصلاة والسلام وهم أهل مكة وأضرابهم من كفار العرب ﴿ ذُنُوبًا ﴾ أى نصيبا من العذاب ﴿ مِثْلَ ذُنُوبٍ ﴾ أى نصيب ﴿ أَصْحَابِهِمْ ﴾ أى نظرائهم من الامم السالفة ، وأصل الذنوب الدلو العظيمة الممتلئة ماء ، أو القرية من الامتلاء ، قال الجوهري : ولا يقال لها ذنوب وهى فارغة ، وهى تذكر وتؤنث وجمعها أذنب وذنائب فاستعيرت للنصيب مطلقاً شراً كان كالنصيب من العذاب فى الآية ، أو خيراً كما فى العطاء فى قول علقمة بن عبدة التميمي يمدح الحرث بن أبى شمر الغساني وكان أسراً أخاه شأسيوم عين أباغ : وفى كل حى قد خبطت بنعمة فحق لشأس من نذاك (ذنوب)

يروى أن الحرث لما سمع هذا البيت قال نعم وأذنبه (١) ومن استعمالها فى النصيب قول الآخر :

لعمرك والمنايا طارقات لىكل بنى أب منها (ذنوب)

وهو استعمال شائع ، وفى الكشف هذا تمثيل أصله فى السقاة يقتسمون الماء فيكون لهذا ذنوب ولهذا ذنوب قال الراجز :

إنا إذا نازلنا غريب له (ذنوب) ولنا (ذنوب) وإن أيتم فلنا القليب

﴿ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ ٥٩ ﴾ أى لا يطلبوا منى أن أعجل فى الاتيان به يقال استعجله أى حثه على العجلة وطلبها منه ، ويقال : استعجلت كذا أن طلبت وقوعه بالعجلة ، ومنه قوله تعالى : (أتى أمر الله فلا تستعجلوه) وهو على ما فى الارشاد جواب لقولهم : (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾

(١) « شأس » هو جد علقمة بن عبدة مدح بهذه القصيدة الحرث بن أبى شمر الغساني لما كان عنده أسيراً طامراً باطلاته وجميع أسرى بنى تميم و« الخابط » الطالب ، ومعنى البيت أنت الذى أنعمت على كل حى بنعمة واستحق نذاك ذنوباً اه إدارة الطباعة

أى فويل لهم، ووضع الموصول موضع ضمير هم تسجيلاً عليهم بما في حيز الصلة من الكفر وإشعاراً بعلّة الحكم، والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيماً كما أن الفاء التي قبلها لترتيب النهي عن الاستعجال على ذلك، و (رمن) في قوله سبحانه: ﴿مَنْ يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ٦٠﴾ للتعليل؛ والعائد على الموصول محذوف أى يوعدونه أو يوعدون به على قول، والمراد بذلك اليوم قيل: يوم بدر، ورجح بأنه الأوفق لما قبله من حيث أنه ذنوب من العذاب الدنيوى، وقيل: يوم القيامة، ورجح بأنه الأنسب لما في صدر السورة الكريمة الآتية، والله تعالى أعلم.

ومما قاله بعض أهل الإشارة في بعض الآيات: (والذاريات ذرواً) إشارة إلى الرياح التي تحمل أنين المشتاقين المتعرضين لنفحات الألطاف إلى ساحات العزة، ثم تأتي بنسيم نفحات الحق إلى مشام المحبين فيجدون راحة قامن غلبات اللوعة (فالحاملات وقرأ) إشارة إلى سحائب أطاف الألوهية تعمل أمطار مراحم الربوبية فتمطر على قلوب الصديقيين (فالجاريات يسراً) إشارة إلى سفن أفئدة المحبين تجرى برياح العناية في بحر التوحيد على أيسر حال (فالمقسّمات أمراً) إشارة إلى الملائكة النازلين من حظائر القدس بالبشائر والمعارف على قلوب أهل الاستقامة، وإن شئت جعلت الكل إشارة إلى أنواع رياح العناية فيها ما يطير بالقلوب في جو الغيوب، وقد قال العاشق المجازى:

خدا من صبا نجد أماناً لقلبه فقد كاد رياها يطير بلبه
ويا كما ذاك النسيم فانه متى هب كان الوجد أيسر خطبه

ومنها (الحاملات وقرأ) دواء قلوب العاشقين كما قيل:

أيا جبلى نعمان بالله خلياً نسيم الصبا يخلص إلى نسيهما
أجد بردها أو تشفى منى حرارة على كبد لم يبق إلا صميمها
فان الصبا ريح إذا ما تنسمت على نفس مهموم تجلت همومها

ومنها (الجاريات) من مهاب حضرات القدس إلى أفئدة أهل الانس بسهولة لتنشئ قلوبهم، ومنها (المقسّمات) ما جاءت به مما عقب بها من آثار الحضرة الإلهية على نفوس المستعدين حسب استعداداتهم وإن شئت قلت غير ذلك فالباب واسع (والساء ذات الحبك) إشارة إلى سماء القلب فانها ذات طرائق إلى الله عز وجل (إن المتقين في جنات وعيون) إشارة إلى جنات الوصال وعيون الحكمة (وبالأسحار هم يستغفرون) يطلبون غفر أى ستر وجودهم بوجود محبوبهم، أو يطلبون غفران ذنب رؤية عبادتهم من أول الليل إلى السحر (ومن كل شيء خلقنا زوجين) إشارة إلى أن جميع ما يرى بارزاً من الموجودات ليس واحداً وحدة حقيقية بل هو مركب ولا أقل من كونه مركباً من الامكان، وشيء آخر فليس الواحد الحقيقي إلا الله تعالى الذي حقيقته سبحانه إنيته (فقروا الى الله) بترك ما سواه عز وجل (وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون) أى ليعرفون، وهو عندهم إشارة إلى ما صححوه كشفاً من روايته صلى الله تعالى عليه وسلم عن ربه سبحانه أنه قال: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف» وفي كتاب الأنوار السنية للسيد نور الدين السمهودى بلفظ «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت هذا الخلق ليعرفونى فبي عرفونى» وفي المقاصد الحسنة للسخاوى بلفظ «كنت كنزاً لا أعرف فخلقت خلقاً فعرفتهم بي

فمرفونى «إلى غير ذلك، وهو مشكل لأن الخفاء أمر نسبي فلا بد فيه من مخفى ومخفى عنه فحيث لم يكن خلق لم يكن مخفى عنه فلا يتحقق الخفاء، وأجيب أولاً بأن الخفاء عن الأعيان الثابتة لأن الأشياء في ثبوتها لا إدراك لها وجودياً فكان الله سبحانه مخفياً عنها غير معروف لها معرفة وجودية - فأحب أن يعرف مرفة حادثة من موجود حادث - فخلق الخلق لأن معرفتهم الوجودية فرع وجودهم فتعرف سبحانه إليهم بأنواع التجليات على حسب تفاوت الاستعدادات فعرفوا أنفسهم بالتجليات فعرفوا الله تعالى من ذلك فيه سبحانه عرفوه، وثانياً بأن المراد بالخفاء لازمه وهو عدم معرفة أحد به جل وعلا، ويؤيده ما في لفظ السخاوى من قوله: لا أعرف بديل مخفياً، وثالثاً بأن مخفياً بمعنى ظاهراً من أخفاه أى أظهره على أن الهمزة للازالة أى أزال خفاه، وترتيب قوله سبحانه: « فأحببت أن أعرف » النخ عليه باعتبار أن الظهور متى كان قوياً أوجب الجهالة بحال الظاهر فخلق سبحانه الخلق ليكونوا كالحجاب فيتمكن معه من المعرفة، ألا يرى أن الشمس لشدة ظهورها لا تستطيع أكثر الابصار الوقوف على حالها إلا بواسطة وضع بعض الحجب بينها وبينها وهو كما ترى لا يخلو عن بحث، وأما إطلاق الكنز عليه عز وجل فقد ورد، روى الديلمى في مسنده عن أنس مرفوعاً كنز المؤمن ربه أى فان منه سبحانه كل ما يناله من أمر نفيس في الدارين، والشيخ محي الدين قدس سره ذكر في معنى - الكنز - غير ذلك فقال في الباب الثلاثمائة والثمانية والخمسين من فتوحاته: لولم يكن في العالم من هو على صورة الحق ما حصل المقصود من العلم بالحق أعنى العلم بالحادث في قوله: « كنت كنزاً » النخ فجعل نفسه كنزاً، والكنز لا يكون إلا مكتنزاً في شئ فلم يكن كنز الحق نفسه إلا في صورة الانسان الكامل في شئ ثبوته هناك كان الحق مكتنوزاً فلما لبس الحق الانسان ثوب شئية الوجود ظهر الكنز بظهوره فعرفه الانسان الكامل بوجوده وعلم أنه سبحانه كان مكتنوزاً فيه في شئية ثبوته وهو لا يشعر به انتهى، وهو منطق الطير الذى لا نعرفه نسأل الله تعالى التوفيق لما يحب ويرضى بمنه وكرمه.

﴿ سورة الطور ﴾

﴿ مكية ﴾ ياروى عن ابن عباس . وابن الزبير رضى الله تعالى عنهم ولم تنقف على استثناء شئ منها، وهى تسع وأربعون آية في الكوفى والشامى، وثمان وأربعون فى البصرى، وسبع وأربعون فى الحجازى، ومناسبة أولها لآخر ما قبلها احتمال كل على الوعيد، وقال الجلال السيوطى: وجه وضعها بعد الذاريات تشابههما فى المطلع والمقطع فان فى مطلع كل منهما صفة حال المتقين، وفى مقطع كل منهما صفة حال الكفار، ولا يخفى ما بين السورتين الكريمتين من الاشتراك فى غير ذلك.

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ وَالطُّور ١ ﴾ الطور اسم لكل جبل على ما قيل: فى اللغة العربية عند الجمهور، وفى اللغة السريانية عند بعض، ورواه ابن المنذر . وابن جرير عن مجاهد، والمراد به هنا (طور سينين) الذى كلم الله تعالى موسى عليه السلام عنده، ويقال له: طور سيناء أيضاً، والمعروف اليوم بذلك ما هو بقرب التيه بين مصر والعقبة، وقال أبو حيان فى تفسير سورة (والتين): لم يختلف فى طور سيناء أنه جبل بالشام وهو الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام، وقال فى تفسيره: هذه السورة فى الشام جبل يسمى الطور وهو طور سيناء فقال نوف البكالى: إنه الذى أقسم الله سبحانه به لفضله على الجبال، قيل: وهو الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام انتهى فلا تغفل، وحكى الراغب أنه جبل محيط بالارض ولا يصح عندى، وقيل: جبل من جبال